مكتبة المحبة
تاريخ
أثناسيوس الرسولى
حامى الإيمان القويم
العالم ضدك
يا أثناسيوس
وأنا ضد العالم
تأليف
كامل صالح نخلة

كامل صالح نخله

تاريـــخ

أثناسيوس الرسولى

حامى الإيمان القويم

مكتبة المحبة القبطية الأرثوذكسية بالقاهرة



القديس البابا اثناسيوس الرسولى
البطريرك العشرون



قداسة البابا شنودة الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

كلمة

مكتبة المحبة القبطية بالقاهرة

اثناسيوس: بطل مغوار، آمن بقضيته فأخذ يحاور ويجادل، يناقش وبفند، ويجاوب ويقحم. دفعه ايمانه بمبدئه إلى الكفاح والجهاد والنضال فلم يهدأ ولم يسكت ولم يستسلم، بل تحمل الآلام والاضطهاد والضيق والنفى والطرد والاتهام، وكان مع ذلك راضى النفس منشرح الصدر، تملؤه الغبطة والسرور والفرح والحبور، إذ حَسِبَ نفسه أهلاً لأن يهان من أجل اسم الله القدوس.

لم تثن عزيمته قوة أعدائه أو كثرة عددهم أو رفعة مركزهم أو خطر شأنهم، وفى سبيل شهادته للحق نسى كل شئ حتى نفسه واحتمل كل شئ وصبر على كل شئ، وذلك فى الوقت الذى لم يدر بخلده أن يخرج من المعركة بشئ اللهم إلا أن يرفع آية الحق عالياً وأن تظهر العقيدة صحيحة سالمة.

هذا هو اثناسيوس فى أبسط الكلمات وهذه هى شخصيته فى أقل تصوير، وإننا نترك للقارئ الكريم الفرصة للاستزادة من التعرف بهذه الشخصية النبيلة بقراءته لهذه السيرة الفاضلة وما حوته من الخصال الحميدة والتعاليم السامية والقدوة الطيبة.

وإن عظم هذه الشخصية هو الذى دفع حضرة المؤرخ الكبير الأستاذ كامل صالح نخلة لأن يكرّس وقته لكى يقدم للشعب القبطى الكريم شخصية اثناسيوس بعد بحث دقيق ودرس عميق. وسيلمس القارئ العزيز

ذلك الجهد العظيم من جانب المؤلف فى سبيل إخراج هذا الكتاب.

وإن مكتبة المحبة ليسرها أن تقدم لحضرات قرائها الأفاضل هذه الشخصية المثالية لكى تساهم ولو بوضع لبنة بسيطة فى بناء تاريخ كنيستنا المجيدة، وحتى تفى لصاحب هذه السيرة قدره من الاكرام والاحترام والتمجيد، ثم لكى تبسط أمام الأنظار هذه الشخصية التى يجب أن نتشرب من روحها وأن نستفيد من اختباراتها حتى نكون أسوداً فى الحق وشهوداً للنور، فى وقت عصيب وفى ظروف دقيقة أشد ما تكون فيها الكنيسة احتياجاً إلى رجال مملوئين من روح اثناسيوس.

وتنتهز مكتبة المحبة القبطية هذه الفرصة الطيبة لكى تقدم خالص شكرها لحضرة المؤلف على تضحياته المتوالية وجهوده الموفقة لخدمة الكنيسة والتنقيب عن تواريخ شهدائها وقديسيها وتطلب له من الله المكافأة والقوة والمعونة كما أنها تجدد للشعب المسيحى الكريم عهودها الماضية أنها سوف تسير فى طريقها بخطى واسعة لكى تؤدى رسالتها على الوجه الأكمل مستعينة فى ذلك بتعضيد الرب ومؤازرتكم وتشجيعكم وذكركم إياها فى صلواتكم الخاصة.

وفقنا الرب جميعاً لما فيه تمجيد اسمه القدوس وخلاص النفوس،

مكتبة المحبة القبطية بمصر

طوبة سنة ١٦٦٨

يناير سنة ١٩٥٢

مصــادر الكتــاب

أولاً ـ كتب مخطوطة

١) كتاب رقم (١٣) تاريخ البطاركة بالدار البطريركية

٢) كتاب رقم (٤٠) تاريخ البطاركة

٣) كتاب تاريخ البطاركة لأسقف فوه

٤) كتاب تاريخ الأب باخوميوس بدير البرموس

٥) كتاب تاريخ الأريوسية للقديس اثناسيوس الرسولى

٦) التواريخ المخطوطة لمؤرخى اليونان: سقراط وأبيفانيوس وتاودوريتس وأبيفانيوس وسوذومين وفوتيوس

٧) احتجاج أثناسيوس ضد الأريوسيين

٨) مقالات غريغوريوس النزينزى

ثانياً ـ كتب مطبوعة

١) كتاب حامى الإيمان لجبران بك روفائيل الطوخى

٢) كتاب مختصر تاريخ الكنيسة لمار اغناطيوس بطريرك انطاكية

٣) تاريخ اثناسيوس تأليف موللر

٤) تاريخ القديس مقاريوس لناشره اميلينو

٥) تاريخ الأنشقاق لجراسيموس مسره

٦) خلاصة تاريخ المسيحية فى مصر تأليف لجنة التاريخ القبطى

٧) كتاب تاريخ القديس باخوميوس لناشره اميلينو

٨) تاريخ وجداول بطاركة الكرسى الاسكندرى تأليف الشماس كامل

صالح نخله

٩) مختصر تاريخ الأمة القبطية تأليف سليم سليمان

١٠) دائرة المعارف الفرنسية

١١) دائرة المعارف البريطانية

١٢) قاموس لاروس القرن العشرين

١٣) السنكسار القبطى لناشره (Basset)

١٤) تاريخ الكنيسة الشرقية تأليف استانلى

١٥) كتاب الرؤوس الهيروغليفية تأليف مورتون

١٦) كتاب الكنز الثمين لمكسيموس مظلوم

١٧) قاموس التواريخ

١٨) تاريخ الإسكندرية القديمة للكونت زغيب

١٩) تاريخ يوحنا النقيوسى لناشره ذوتنبرج باللغة الفرنسية

٢٠) التاريخ الكنسى تأليف فلورى باللغة الفرنسية

٢١) تاريخ كنيسة الإسكندرية تأليف نيل باللغة الانجليزية

٢٢) جغرافية مصر فى عهد الأقباط للعلامة أميلينو باللغة الفرنسية

٢٣) مروج الأخيار للآباء اليسوعيين

٢٤) تاريخ الكنيسة تأليف موسهيم

٢٥) سيرة القديسين للرهبان الدومينيكان

٢٦) كتاب آثار جغرافية أفريقيا ومصر لناشره الأمير يوسف كمال

٢٧) الأسقفيات القبطيه تأليف مونيه

تاريخ
القديس البابا اثناسيوس الرسولى
البطريرك العشرون

مقدمــة التاريــخ

يرتبط تاريخ القديس البابا العظيم اثناسيوس الرسولى البطريرك العشرين بتاريخ الأمبراطور قسطنطين الكبير وخلفائه إرتباطاً كلياً لاتصال الكنيسة فى ذلك الوقت لأول مرة بالدولة اتصالاً وثيقاً.

وتاريخ البابا أثناسيوس الأسكندرى يشابه تاريخ قسطنطين الكبير من وجوه عدة، لأن شخصية كل منهما كثيرة التشعب واسعة النطاق تستلزم للإلمام بها قوة الملاحظة ودقة الاستنتاج: فترجمة حياة القديس أثناسيوس شاملة لكل مظاهر الحياة فى عصره وكذلك تاريخ حياة قسطنطين الكبير وخلفائه فقد امتازت بهذه المظاهر نفسها. ولا يوجد بين أبطال الكنيسة من يشبه أثناسيوس العظيم فى التاريخ إلا القديس يوحنا ذهبى الفم بطريرك القسطنطينية المعاصر للبابا ثأوفيلس الاسكندرى، غير أن حياة أثناسيوس أوسع نطاقاً لكثرة الحوادث المرتبطة بها وعظم الدفاع الذى بذله هذا البطل الكبير ولتأثير جهاده الخالد فى تاريخ الكنيسة الذى امتد أثره إلى اليوم فى العالم أجمع.

وبحث حياة هذا القديس الجليل وتصوير أثرها الكبير فى أهل زمانه وما انطوت عليه من العظات والعبر وما فيها من نضال مع الأباطرة الذين عاصروه وفى طليعتهم قسطنطين الكبير، سيكون أعظم درس فى سبيل الدفاع عن المبدأ القويم والاستمساك بالرأى السليم.

الفصل الأول
أثناسيوس ونشأته

(١) ميلاده

ولد أثناسيوس فى مدينة الاسكندرية سنة ٢٩٥ ميلادية وقيل سنة ٢٩٨م وكان أبواه من عبدة الأوثان (دائرة المعارف البريطانية جـ ٢ ص ٥٩٧ ولاروس القرن العشرين)

(٢) تربيته

تربى أثناسيوس تربية مدرسية استقلالية فى المكتب الاسكندرى مع أولاد النصارى وقد أجاد اللغة اليونانية كتابة وقراءة كما كان يتحدث باللغة القبطية التى هى لغته الأصلية.

وحدث بينما كان تلاميذ المكتب يلعبون ويقرأون أن أراد أثناسيوس أن يشاركهم فى لعبهم فرفضوا ذلك لأنه وثنى. فأظهر رغبته فى أن يصير نصرانياً مثلهم فقبلوه معهم وشاطرهم ألعابهم وأخذوا يمثلون حفلة دينية أشترك فيها معهم أثناسيوس فظهرت مواهبه وتنبأ بالدور الذى لعبه معهم ما سيكون عليه حاله فى المستقبل. فقد جعلوا أثناسيوس أسقفاً عليهم تنبوءاً منهم بما سيؤول اليه أمر هذا الصبى فيما بعد. وأخذ البعض من الصبية يمثلون دور القسوس والشمامسة. فأجاد أثناسيوس تمثيل دوره حتى أن البابا الكسندروس الاسكندرى البطريرك (١٩) الذى كان يطل على هؤلاء الأولاد من برج عال من دار البقر أرسل اليهم بعض الكهنة ليحضروهم، فلما مثلوا بين يديه سألهم عما كانوا يفعلون، فأنكروا بادى الأمر خوفاً منه

كما هى عادة الأطفال، ولكنه شجعهم على قول الصدق فاعترفوا بأنهم كانوا يعمدون بعضاً منهم بعد أن أقاموا عليهم أسقفاً كان يغطس إخوانه فى مياه البحر ويتلو صلاة العماد التى حفظوها طبقاً لما يمارس بالكنيسة تماماً.

فلما رأى البطريرك أنهم أجروا صلاة العماد بحذافيرها وبدقة تامة أقر الخدمة وأكملها بنفسه حيث رشم المعمدين بالزيت المقدس. وبلغ من إعجاب البطريرك بهذا (الأسقف) الصبى أن كفله وتولى تعليمه بنفسه لأنه علم بالروح ما سيكون له من الشأن العظيم فى الكنيسة فى المستقبل (السنكسار القبطى لناشره باسيه (Basset) ص ٣٦٠و ٣٦١ وأسقف فوه ص ٢٠ VR)

(٣) حياة أثناسيوس العائلية ونشأته

ولما مات والد أثناسيوس قامت أمه بتربيته وكانت رئيسة عبدة الأوثان وغنية جداً (ابن المقفع كتاب ١٣ ص ٥٢ R).

ولما كبر أرادت والدته أن تزوجه ولكنه رفض ذلك فحتالت عليه بوساطة امرأة مستهترة لتجرئه على الزواج، ولكن الله حفظه من شرها فاستعانت بالجميلات من الفتيات بتجميلهن وإدخالهن عليه أثناء نومه فكان إذا استيقظ استشاط غضباً وطردهن شر طردة.

وأخيراً استعانت بساحر حكيم من فلاسفة الصابة وأخبرته بأمر ابنها ورغبتها فى تزويجه فقال لها: "دعينى اليوم لآكل معه خبزاً" ففرحت وأقامت وليمة عظيمة واجتمع الفيلسوف بأثناسيوس على المائدة. فلما كان الغد قابلها الفيلسوف وقال لها: "لا تتعبى نفسك فقد صار ابنك جليلياً

وسيكون رجلاً عظيماً.

(٤) عماد والدة أثناسيوس لاعتناقها المسيحية

لما وقفت والدة القديس أثناسيوس على دين ولدها الجديد خشيت أن يتركها وتصبح وحيدة فأخذت ابنها وقابلت البابا الكسندروس واعترفت بإيمانها بالسيد المسيح وطلبت اليه أن يعمدها فأجاب البابا طلبها وعمدها وباركها. وبعد مدة وجيزة انتقلت من هذا العالم وبقى ابنها عند البابا فاعتبره مثل ابنه وزوده بنصائحه.

(٥) تفوق أثناسيوس في دراسته

وقد تفوق أثناسيوس فى علوم الكنيسة وتعمق فى دراسة الكتاب المقدس (العهد القديم والعهد الجديد) وكان لهذه الدراسات باللغة اليونانية الأثر الكبير فى تكوين أفكاره وعقليته وآرائه.

ولتبحره فى العلوم اللاهوتية اختاره البابا الكسندروس تلميذاً له. وكان ذلك فى الوقت الذى انتشر فيه صيت ونفوذ القديس أنطونيوس أب الرهبان ومؤسس الرهبنة المصرية.

(٦) سيامته شماساً واقامته كاتماً لأسرار البابا

ثم سامه البابا الكسندروس شماساً لكنيسة الاسكندرية، واقامه كاتباً له وكاتماً لأسراره رغم حداثة سنه فاضطلع بمهمته خير قيام حتى كان لساناً للبابا معبراً عن أفكاره (ابن المقفع كتاب ١٣ تاريخ ص ٥٢ V وسيبولد ص ٩٢ وفوه ص ٢١ R ولاروس القرن العشرين ص ٤١٠ جزء أول).

(٧) ارتقاؤه إلى رئاسة الشمامسة

ونظراً لما أظهره الشماس أثناسيوس من البراعة فى مهمته واليقظة فى خدمته رقاه البابا الكسندروس إلى رتبة رئيس شمامسة. ولقد سما أثناسيوس بهذه الرتبة الكنسية كما سما بها استفانوس القديس الشهيد رئيس الشمامسة الأول حتى اعتبرتها الكنائس الرسولية من الرتب الكهنوتية العالية التى كانت تفوق رتبة القسيسية وخصوصاً بعد أن قام أثناسيوس فى مجمع نيقيه بأظهار مهارته فى الدفاع عن تعاليم الكنيسة الحقة وبراعته فى شرح معتقداتها، الأمر الذى دل بصفة واضحة على نبوغه وسعة أطلاعه وقوة حجته. (تاريخ مجمع نيقيه تأليف استانلى ص ٢٢٩).

(٨) مؤلفاته قبل انعقاد المجمع المسكونى الأول

كانت باكورة مؤلفات القديس اثناسيوس كتابى "الدفاع عن الايمان الجامعى" و "تجسد الابن الكلمة" وهما مؤلفان يبحثان موضوعاً واحداً كتبهما قبل سنة ٣١٨ ميلادية وقد دحض بهما تعاليم آريوس المخالف. وقد كان لتأليفهما من شاب بلغ بالكاد سن المراهقة دوى كبير فقد تجلت فيهما أفكار أوريجانس ووجهة نظر مدرسة الاسكندرية اللاهوتية بوضوح ظاهر. وكانت التعاليم التى تضمنها هذان المؤلفان هى الأساس الذى بنى عليه دفاعه عن الايمان القويم وجهاده ضد المخالفين (دائرة المعارف البريطانية جـ ٢ ص ٥٩٧).

(٩) أوصاف اثناسيوس ومصريته

كان اثناسيوس قصير القامة جداً حتى دعاه يوليانوس الكافر فى رسالته الواحدة والخمسين "بالقزم" تعبيراً وتقريعاً له، ولكن غريغوريوس النزينزى أكد أنه كان حسن الطلعة جميل المحيا، تزينه سيماء التقوى والورع ويخيل

للناظر اليه أنه أحد الملائكة (المقالة ٢١ للنزينزى).

وكان شعره يشبه شعر المومياء المحنطة (الرؤوس الهيروغليفية لمورتون جـ ٣ ص ٢٢).

وقد ظن البعض انه يونانى الجنس نظراً لاسمه اليونانى، إلا أنه مصرى لحماً ودماً لا غش فيه. وقد كانت منتشرة فى عصره عادة إطلاق الأسماء اليونانية على المصريين بعد انتشار المسيحية فى مصر مثل اسم أنطونيوس مؤسس الرهبنة المصرية الذى لا شك فى انه قبطى صميم من أصل مصرى أصيل (استانلى ص ٢٢٩)

الفصل الثانى

رئيس الشمامسة

أثناسيوس فى المجمع المسكونى الأول

انتصاره فى المجمع النيقى المسكونى الأول رغم حداثة سنه

دافع رئيس الشمامسة اثناسيوس مع أبيه البابا الكسندروس دفاع الأبطال واللاهوتيين العظام وانخذل أمامهما آريوس ومعضدوه ورجع اثناسيوس مع البابا إلى الاسكندرية بصحبة الأساقفة المصريين مكللين بالنصر الباهر على عدو الكنيسة وعلى تعاليمه الفاسدة.

وقد ظهرت فى هذا المجمع المسكونى مواهب البطل العظيم اثناسيوس حتى سحر سامعيه بقوة حجته وأظهر بلسانه البليغ الآراء المستقيمة والمبادئ القويمة لتعاليم الكنيسة الجامعة الرسولية حتى أدهش رجال المجمع المحنكين وأعاظم اللاهوتيين بالاثباتات القوية والأقوال المبنية على أصول الدين المسيحى وتعاليمه، واستحق تهنئة الجميع له على حسن دفاعه.

الفصل الثالث

ارتقاء اثناسيوس إلي البطريركية

(١) اختياره للبطريركية

عندما شعر البابا الكسندروس الإسكندرى بدنو الأجل زكّى تلميذه الحبيب ولاهوتيه العجيب إلى كرسى البطريركية بعده، فلما تنيح البابا فى شيخوخة صالحة اجتمع لأول مرة فى تاريخ كنيسة الإسكندرية خمسون أسقفاً لاختيار البطريرك الجديد بطريق الانتخاب وكان البطريرك المتنيح قد أوحى فى أثناء احتضاره ـ كما تقدم الذكر ـ باختيار اثناسيوس خلفا له فأجمع المجمع المسكاني المقدس على انتخابه ووافق الشعب بالاجماع على هذا الاختيار الموفق من الله عز وجل.

وقد حاول اثناسيوس الهرب من هذه المسئولية الخطيرة ولكنهم أرغموه على قبول الرئاسة الدينية وأقاموه بطريركاً فى يوم ٨ بشنس سنة ٤٤ ش الموافق ٥ مايو سنة ٣٢٨ ميلادية وأجلسوه على كرسى القديس مرقس البشير والانجيلي الطاهر (كتاب ١٣ تاريخ ص ٧٥٠ وفوه ص ٧٢١)

(٢) مركزه بعد ارتقائه فى الكنيسة الجامعة

وبالرغم من اعتراض المليتيين اتباع ميلاتيوس والاريوسيين انصار أريوس، لقبته الكنيسة المقدسة باثناسيوس الرسولي وذلك لشرف جهاده ولأعماله المجيدة الشبيهة بأعمال الرسل القديسين الأطهار.

وعندما تولى الكرسى البطريركى اهتم بتطهير الكنيسة من أريوس وقضى على تعاليمه الفاسدة بقوة براهينه وصحيح حجته ومتانة دفاعه وأصبح البابا

الاسكندرى بعد مجمع نيقيه يلقب باسم "قاضى المسيحية فى كل العالم يقضى فى الأمور العالمية دينياً ودنيويا وبلغ نفوذه إلى أقاصى المسكونة حتى قال عنه اللاهوتى الكبير القديس اغريغوريوس النزينزى "إن رأس كنيسة الاسكندرية هو رأس العالم" (الكنيسة الشرقية للعلامة استانلى ص ٢٣١)

الأساقفة المعارضون للبابا اثناسيوس الرسولى

بلغ عدد الأساقفة المصريين الذين انحازوا لبدعة ميليتيوس أسقف أسيوط فى أيام رئاسة البابا اثناسيوس الرسولى نحو الخمسة والثلاثين أسقفاً وهم كالآتى حسب البيان الذى قدمه هذا المبتدع إلى البابا اثناسيوس :-

رقم مسلسل	اسم الأسقف	رقم مسلسل	اسم الأسقف
١	الأنبا ميليتوس أسقف ليكوبوليس	١٩	الأنبا إسحاق أسقف كليوباتريس
٢	،، لوكيوس ،، أنصنا	٢٠	أسقف هليو
٣	،، باسيليوس ،، هرموبوليس	٢١	الأنبا آموس أسقف ليوبتون
٤	،، أشيلاوس ،، كوزايس	٢٢	،، ايزيون ،، اتريب
٥	،، أمونيوس ،، ديوسبوليس	٢٣	أسقف فاربيطو
٦	أسقف أبطولومايس	٢٤	الأنبا هربوكرايتون أسقف بوبسط
٧	الأنبا باخوميوس أسقف تنتريس	٢٥	،، مويسيس ،، فاقوسة
٨	،، تيودوورس ،، قفط	٢٦	،، كالينيكوس ،، بلوذا
٩	أسقف مكسيميانو بوليس	٢٧	،، أودايمون ،، تانيس
١٠	،، طيبة	٢٨	،، افرايم ،، اتمويس
		٢٩	أسقف صاى

١١	الأنبا كاليس أسقف هرمونتيس	٣٠	الأنبا هرمايوس أسقف سينو وأبوصير
١٢	،، قولوتس ،، سينو العليا	٣١	،، سوتيريخوس ،، سينوتيس
١٣	،، بيلاجيوس ،، أوكسيزيكوس	٣٢	،، بنيفوتيس ،، افتنيتوس
١٤	،، بطرس ،، هيراقليوس	٣٣	،، كودينوس ،، ميتيليس
١٥	،، ثاونا ،، نيلوبوليس	٣٤	،، أغانامون ،، مديرية اسكندرية
١٦	،، هيراقليدس ،، نيقيوس	٣٥	،، يؤانس ،، ممفيس
١٧	،، إسحاق ،، ليتو		
١٨	،، ميلاس ،، أرسينوية		

وقد أخذت هذه الأسماء والبيانات الخاصة بها من كتاب الأسقفيات القبطية تأليف العلامة مونيه سكرتير الجمعية الجغرافية المصرية سابقاً.

وهؤلاء الخمسة والثلاثون أسقفاً هم أساقفة الديار المصرية الذين انضموا إلى أنبا ميلاتيوس أسقف أسيوط الثائر على البابا اثناسيوس الرسولي.

وقد كان مجموع الأسقفيات المصرية في عهد هذا البابا نحو مائة وتسعة وعشرين أسقفية منها أربعة وتسعين من مؤيديه، والباقون هم المعارضون له كما توضح فيما تقدم.

(٣) نفوذ البابا على جميع أبرشيات الكرسي الاسكندرى

وقد تغلغل نفوذ البابا اثناسيوس في جميع الأبرشيات التابعة للكرسى الاسكندرى في الأقطار المصرية والافريقية. فقد استأثر برسامة أساقفتها وحتم عليهم أن لا يرسموا كهنة إلا بعد الحصول على تصريح منه. وكان

له نفوذ وسلطان فى المسائل المدنية علاوة على المسائل الدينية وقد ذكر المؤرخ جيبون: "إن بطريرك الاسكندرية رغم بعده عن البلاط الأمبراطورى استطاع تدريجياً أن يستحوز على مركز وسلطة القضاء المدنى وأصبح حكام الأقاليم ومدبروه الرسميون يخشون بأس سلطة الرؤساء المسيحيين". (نيل جزء أول ص ١١٢ واستانلى ص ٢٣١).

(٤) زيارة البابا اثناسيوس لأديرة الصعيد

أراد القديس أثناسيوس أن يفتقد شعبه وأبناءه والكنائس الموجودة فى الصعيد فسافر إلى أدفو قاصداً سيين التى هى أسوان الآن وزار كنائسها ووطد أمورها ثم عرج فى طريقه على طبانيسيين التابعة لأبرشية دندره المعروفة بإسم دفانيس أو دوناسه البلد المقيم فيها الأنبا باخوميوس فى أول حياته النسكية ولما رأى الأنبا باخوميوس أن الأساقفة الكثيرين خرجوا للقاء البابا أخذ هو أيضاً الأخوة وخرج للقائه، واستقبل الجميع قداسة البابا الطوبانى بالصلوات والتسابيح حاملين المسارج الموقدة وكان فرحهم به عظيماً. فدخل البابا مجمع الرهبان وصلى وزار جميع مساكنهم.

وتقدم القديس أنبا سرابيون أسقف نيتنتورى (دندره الآن) إلى البابا وتكلم معه عن الرجل الفاضل البار عابد الله باخوميوس وطلب اليه أن يرسمه قساً مدبراً لجميع أديرة الرهبان الكائنة فى ذلك الأقليم فأجاب البابا بقوله: "لقد سمعت عن إيمان الأب باخوميوس الذى تكلمنى عنه وأنا فى الصعيد قبل أن أكون بطريركاً، ولما علم الأب باخوميوس بهذا الحديث أختفى. فقال البابا للرهبان أولاد باخوميوس: (سلموا على أبيكم وقولوا له إنك وأن كنت قد اختفيت عنى وهربت من تحمل أعباء الوظيفة التى

يترتب عليها الغيرة والحسد والحزن، فإنك قد اخترت النصيب الصالح الدائم إلى الأبد مع المسيح مخلصنا. فليعطك الله مثل قلبك. وإن كنت قد هربت من العظمة الوقتية الفانية فأن سلوكك قد أصاب رضائي وإني أبارك رغبتك ولن أغضبك بهذه الرسامة وأرجو ان أرى محبتك عند عودتي بإذن الله).

ثم خرج البابا القديس ومعه الأساقفة والجموع حاملين المسارج الموقدة ولما تأكد القديس باخوميوس من عودة البابا من طبانيسيين خرج من مخبئه. وعند رجوع البابا بسفينته التي كانت تسير في النيل قابله الأب باخوميوس لنيل بركته لأنه كان يحترمه ويجله بصفته ولي الله وخادمه ويقدّس مواقفه في نصرة الانجيل ورفع لواء الايمان القويم وصبره على احتمال الاضطهادات والتجارب التي قاساها (تاريخ باخوميوس بدير البرموس ص ٣٤ V و٣٥ V وأميلينو ص ٣٨٤ و٣٨٦).

الفصل الرابع

اهتداء اثيوبيا إلي المسيحية

(١) القديسان الأخان فرومنتيوس واديسيوس

كان القديسان الأخان فرومنتيوس واديسيوس فى رحلة مع عمهما الفيلسوف ميروبيوس فى الشرق لانه كان متولياً أمرهما إذ لم يكونا راشدين وعند عودتهم ركبوا سفينة ليرجعوا إلى بلادهم فوقفت السفينة بهم على شواطئ الحبشة بالبحر الأحمر للتزود منها فقام عليها البرابرة سكان هذه المنطقة الذين كانوا فى حرب مع الدولة الرومانية ونهبوها وقتلوا بحد السيف كل رجال السفينة عدا فرومنتيوس وأخيه اديسيوس لأنهما كانا جالسين بعيداً عن السفينة تحت شجرة ينتظران مصيرهما. فلما وجدهما البرابرة أثر فيهم ما أتصف به الأخان من الطهارة والجمال وسلامة الضمير وذهبوا بهما إلى أكسوم عاصمة مقاطعة الاكسوميطيين وقدموهما إلى ملكهم.

ولما رأى الملك الأكسومى ما لهذين الشقيقين من ذكاء واستعداد وهمة قربهما اليه وجعل أوديسيوس ساقياً خاصاً وفرومنتيوس أميناً على بيت المال وكاتماً لأسرار المملكة وشرفهما بثقته التامة. ولما حضرته الوفاة شكرهما على أمانتهما فى خدمته وأخلى سبيلهما جزاء لإخلاصهما فى خدمة المملكة.

وبعد نياحة الملك الأكسومى طلبت الملكة إلى الشقيقين أن يعاوناها على تدبير المملكة وإدارة شؤونها لأن الحكم قد آل اليها حيث ان ابنها لم يكن قد بلغ سن الرشد فى ذلك الوقت. فاستمر الأخان فى خدمتها وكانا فى الوقت نفسه يساعدان التجار المسيحيين ويدفعان عنهما كل أذى

ويمكناهم من الاقامة فى بلاد الاكسوميطيين ومنحاهم امتيازات عظيمة ومهدا لهم السبل ليقوموا بنشر المسيحية فى جميع أنحاء البلاد.

ولقد كان لحياة فرومنتيوس الطاهرة وغيرته الصادقة على نشر كلمة الخلاص وسلوكه المثالى الصالح أكبر الأثر فى استجلاب حب غير المؤمنين للمسيحيين واحترامهم لدينهم (مروج الأخيار ص ٦٥٦).

وبحسن سيرة القديس فرومنتيوس وحسن سياسته أعتنقت الملكة الديانة المسيحية وتعمدت واعتنق الكثيرون من الاشراف الديانة المسيحية أيضاً (موسهيم ص ١٢٣).

ولما بلغ ولى العهد سن الرشد تولى زمام الحكم باسم أبراها اتزبا الأول سنة ٣٢٨م واعتنق المسيحية. فترك الأخان منصبيهما ورتبا أمور المسيحيين وسافر أوديسيوس إلى صور حيث رسم كاهناً عليها وسار فرومنتيوس إلى الاسكندرية منبع أصله الوطنى وقابل البابا اثناسيوس الرسولى وطلب اليه أن يبعث أسقفاً إلى أثيوبيا ليتمم هداية الشعب هناك إلى المسيحية وليرعى شئونهم (دائرة المعارف البريطانية جزء أول ص ٧٤).

(٢) رسامة القديس فرومنتيوس رسولاً لأثيوبيا

سمع البابا اثناسيوس لحديث فرومنتيوس وعرض الموضوع على مجمعه المقدس الذى كان منعقداً فأجمع الآباء الأساقفة على رسامة الأسقف المطلوب لهذه البلاد ووقع اختيارهم على القديس فرومنتيوس فى سنة ٣٣٠م وذلك تقديراً لجهاده فى نشر بشرى الخلاص فى تلك البلاد.

وكانت أثيوبيا تمتد فى ذلك الوقت على شاطئ البحر الأحمر من شرق أفريقيا إلى بلاد اليمن فى شبه جزيرة العرب. وتمت رسامة القديس

فرومنتيوس أسقفاً على أكسيوم ورسولاً لأثيوبيا من قبل الكرسى الاسكندرى في ٣٣٠ ميلادية وأطلق عليه الأثيوبيون اسم الأنبا سلامة الأول. وأصبحت الكنيسة الأثيوبية من ذلك الحين تابعة للكرازة المرقسية وإحدى ابرشياتها (مروج الأخبار ص ٦٥٦ ولاروس القرن العشرين جزء ثالث ص ٦٥٤ وموسهيم ص ١٢٣).

الفصل الخامس

إنضمام ميلاتيوس إلي الأريوسيين ووفاته

بعد أن رضخ ميلاتيوس أسقف ليكوبوليس لحكم مجمع نيقية خضع للبابا الكسندروس إلا أنه بعد ذلك انضم للأريوسيين فى حبرية البابا أثناسيوس الرسولى ومات فى سنة ٣٣٠ ميلادية منشقاً من كنيسة الجامعة الرسولية وقد خلفه فى رئاسة حزبه وبدعته يوحنا أركاف الذى اشتهر بعدائه للبابا أثناسيوس.

أما حزب ميلاتيوس فقد بقى بعد موت أركاف قائماً فى مصر حتى القرن الخامس وكان يقوده بعض الرهبان الذين أدخلوا على مبادئه شيئاً من قوانين اليهود والسامريين (تاودوريتس ك ١ ف ٩)

الفصل السادس

تأسيس الرهبنة المصرية

(أولاً) تعريف الرهبنة وأصلها

ما الرهبنة المصرية إلا نذر التبتل إلى الله مع اختيار الفقر طوعاً واعتزال العالم للتعبد. ومع أن المصريين المسيحيين هم أول من ابتنى الأديرة فى الجبال والصحارى للرهبان فى الجيل الثالث حتى أصبح الترهب عندهم نظاماً دينياً ثابتاً نقله عنهم مسيحيو الشرق ورومه فى الغرب وباقى أوربا. إلا أن التبتل والإنفراد للتعبد كانا معروفين من قبل دخول المسيحية فى مصر عند قدماء المصريين واليهود. فقد كان فى ضواحى الإسكندرية قوم من اليهود عرفوا باسم "متأملي الإلهيات" تركوا كل ما يملكون من متاع الدنيا وآووا رجالاً ونساء إلى التلال المجاورة يقيمون فيها الصلوات ويسبحون الله بالمزامير والترانيم.

(ثانياً) مؤسسو الرهبنة

يرجع تأسيس الرهبنة المصرية بشكلها الحاضر إلى الآباء بولا وأنطونيوس المعروف باسم "أب الرهبان" وباخوميوس ومكاريوس المصرى. واليك موجز من تاريخ كل منهم.

(ثالثاً) الأنبا بولا أول السياح

ولد القديس بولا فى مدينة طيبة بالصعيد سنة ٢٢٨ ميلادية وكان عمره خمس عشرة سنة عندما مات والداه فتركا له ولأخته أموالهما. واتفق بعد ذلك بقليل أن وقع اضطهاد القيصر داكيوس للمسيحيين. فاختفى بولا فى

منزل منفرد وكان زوج أخته وثنياً فحدثته نفسه بأن يشى به إلى الوالى لكى يستأثر بجميع الميراث. وبلغ الخبر بولا ففر إلى البرية آملاً العودة بعد زوال الإضطهاد. ولكنه استمر فى عيشة العزلة ولم يرجع بعد ذلك إلى المدينة وقد قال عن نفسه فى ذلك: "إن الظروف قد هيأت لى طريق الفضيلة" وكان قد اهتدى إلى مغارة قريبة من بحر القلزم فيها نبع ماء صاف وأمامها نخيل فأقام مدة حياته وحيداً مثابراً على الصلاة والتأملات الروحية ويتغذى من ثمر إحدى النخلات ويشرب من ماء النبع ويكتسى بخوص النخل مجدولاً. وقبيل رحيله من العالم زاره الأنبا أنطونيوس بإلهام إلهى، ولما مات تولى كفنه ودفنه وكان عمره وقتئذ ١١٣ سنة.

أنبا بولا وأنبا انطونيوس

وللأنبا بولا دير لا يزال عامراً بالرهبان إلى اليوم بجبل القلزم على مقربة

من البحر الأحمر فى نفس الموضع الذى عاش فيه (خلاصة تاريخ المسيحية ص ٧٥ و٧٦)

(رابعاً) الأنبا أنطونيوس أب الرهبان

(١) حياته الأولى واعتكافه العالم

ولد القديس أنطونيوس أب الرهبان فى سنة ٢٥٠ ميلادية وقيل إنه ولد فى سنة ٢٥١م فى مدينة قمن العروس بمصر الوسطى بأقليم بنى سويف من أبوين مثريين وتربى تربية مسيحية منذ نعومة أظفاره. ولما بلغ العشرين من عمره مات أبواه فكفل شقيقته. وحدث أن دخل الكنيسة ذات يوم فسمع فصل الإنجيل يقرأ وفيه قول السيد المسيح للشاب الغنى الذى سأله: "ماذا أعمل لكى أرث الحياة الأبدية": "إن أردت أن تكون كاملاً إمض وبع كل مالك وأعطه الفقراء فيكون لك كنز فى السماء وتعال أتبعنى" (مت ١٩: ٢١). فاعتقد أنطونيوس أن هذه الدعوة الكريمة موجهة اليه وصمم على تنفيذها حرفياً فخرج من فوره وباع أملاكه ووزع ثمنها على الفقراء مستبقياً بعضه لشقيقته الصغرى التى سلمها للعذارى ثم اعتزل العالم فانفرد فى البرية الشرقية للعبادة والنسك حيث سكن أحد القبور القديمة مدة من الزمن لقى فى خلالها تجارب شديدة من المحاربات الشريرة المتنوعة بإثارة شوقه للعالم ومباهجه وبتصعيب حياة التقشف ليزهده فيها تارة بالأفكار وأخرى بالتصورات وطوراً بظهوره له بأشكال النساء أو الحيوانات المزعجة لكى يرهبه ويخيفه. ولكن أنطونيوس خرج من هذه المعركة الروحية منتصراً على عدو الخير وصمد فى هذه الحرب خمسة عشر عاماً. ثم أوغل فى البرية فوجد برجاً قديماً اتخذه مأوى له مدة عشرين سنة فسمع الناس بأمره

وذاعت بينهم أخبار تقواه وتقشفه الزائد وفضيلته فقصدوه ذرافات ووحدانا فلم يشأ أن يخرج اليهم. فاضطروا إلى هدم مدخل البرج وتمكنوا بذلك من مقابلته فأخذ يعلمهم ويصلى من أجل مرضاهم. وقد تفرغ فى وحدته فى علوم اللاهوت والعقائد وتفاسير الكتب المقدسة حتى امتاز فيها.

ولما وقع إضطهاد القيصر مكسيمانوس نزل إلى الأسكندرية لتقوية المسيحيين على احتمال الاضطهاد وقد أمّ البرية فى ذلك الحين كثيرون وهناك نظم القديس الحياة النسكية حيث اقتفى به الكثيرون واتبع طريقته عدد عظيم من الرهبان، فبنى لهم الأديرة وسن لهم القوانين التى يسيرون عليها.

(٢) دعوة الأمبراطور قسطنطين لأنطونيوس

لما سمع الأمبراطور قسطنطين بخبر الزاهدين القديسين المصريين أرسل إلى رئيسهم الأنبا أنطونيوس رسالة يدعوه فيها لزيارة القسطنطينية لكى يراه ويطلب فيها أن يبارك عليه وعلى أولاده وعلى امبراطوريته. وما استلم الرهبان هذه الرسالة حتى أخذ منهم الدهش كل مأخذ لأنهم استكبروا أن يكاتبهم مثل هذا الأمبراطور العظيم فأنبهم القديس أنطونيوس على ذلك أشد التأنيب قائلاً لهم: "لا يجب أن تنذهلوا من كتابة الأمبراطور إليكم فما هو إلا بشر مثلنا. وإنما يجب أن تنذهلوا من تنازل الله الذى أرسل الينا شريعته وكلمنا بواسطة ابنه الوحيد" (ملر جزء ثان ص ٢٣٨ وترجمة أنطونيوس لاثناسيوس)

وكان القديس أنطونيوس قد عوّل على عدم الاكتراث بهذه الرسالة غير أن بعض الرهبان ألحوا عليه بالإجابة فلبى طلبهم وكتب للامبراطور وأولاده

رسالة رسم لهم فيها الطريق التى يجب أن يسلكوها لينالوا الخلاص لنفوسهم والخير لأمبراطوريتهم قائلاً لهم: "يجب أن لا يبرح ذاكرتكم أن الرب وحده هو الملك الحقيقى الذى لا فناء لملكه" ثم رجاهم أن يقضوا بين الرعية بالعدل وأن يحسنوا إلى الفقراء والمعوزين إلى غير ذلك من المواعظ البليغة والحكم العالية المستمدة من الكتاب المقدس (دائرة المعارف الفرنسية تحت كلمة أنطونيوس وترجمة أنطونيوس لاثناسيوس جـ ٢ ص ٣٣٨).

(٣) تكفين انطونيوس القديس بولا

كان الأنبا بولا الشيخ القديس مقيماً يتعبد فى جبل القلزم الذى يعيش فيه القديس أنطونيوس كما تقدم الذكر فى سيرته. فذهب القديس أنطونيوس لزيارته ولما شعر بولا أثناء الزيارة بدنو أجله أوصاه أن يكفنه ويدفنه، ففعل ذلك (خلاصة تاريخ المسيحية فى مصر ص ٧٦ و٧٧)

(٤) أنطونيوس مؤسس الرهبنة والقديس اثناسيوس الرسولى

كانت بين القديس أنطونيوس أب الرهبان والقديس اثناسسيوس الرسولى مودة وثيقة العرى حتى أن اثناسيوس كتب سيرة القديس أنطونيوس وضمنها اعماله الجليلة.

وكان القديس أثناسيوس الرسولى يجل الأنبا أنطونيوس ويقدر زهده وتقواه. وكثيراً ما كان يزوره فى الصحراء ليتعزى بمحادثته والإستعانة برأيه، وكان من فرط إجلاله له يصب الماء على يديه كما كان يفعل اليشع لإيليا النبى تبعاً للعادة الشرقية إمعاناً فى الاكرام والاحترام.

ومع أن أنطونيوس كان يجهل اللغة اليونانية ولا يتكلم بها فقد كان يساعد اثناسيوس فى مباحثاته ومجادلاته اللاهوتية إذ كانوا يترجمون له

المكانبات اليونانية باللغة القبطية ليرد عليها، على ما رواه شترن في مقاله عن اللغة القبطية (قائمة ترويجاً ص ٣٦٠ وبنجاديلي ص ١٩٧ و٢١٠).

وقد كان أنطونيوس المجاهد يشاطر القديس اثناسيوس المدافع العظيم عن الايمان القويم في محنته. وحدث بينما كان اثناسيوس في أحرج أوقات جهاده أن ظهر أنطونيوس فجأة بالاسكندرية. فهبت الناس لأنهم لم يستطيعوا تعليل وجوده الغامض بها. وتسابق الوثنيون والمسيحيون لاجتلاء طلعة أنطونيوس الذى كانوا يدعونه "رجل الله". وعند سفره الى الدير خرج معه القديس اثناسيوس حتى باب المدينة مودعاً (الكنيسة الشرقية لستانلى ص ٢٢٢ ــ ٢٣٤ ودائرة المعارف البريطانية ص ٣٠ جزء ثانى).

وقد أهدى القديس اثناسيوس برنساً لأنبا أنطونيوس وظل هذا محتفظاً به حتى طلبه منه الأنبا بولا ليكون كفناً له اعتزازاً بأيمان اثناسيوس العظيم، وفعلاً كفنه به ودفنه.

(٥) استدعاء البابا اثناسيوس للقديس أنطونيوس

ولما انتشرت بدعة أريوس المنافق فى مدينة الاسكندرية بعد إرفضاض المجمع النيقاوى المسكونى المقدس استدعى البابا اثناسيوس القديس انطونيوس إلى الأسكندرية لمعاونته على دحض تلك البدعة الخبيثة فقام بهذه المأمورية بالاشتراك مع الحبر الاسكندرى والعلامة ديديم الضرير مدير المدرسة اللاهوتية وقتئذ خير قيام (مختصر تاريخ الأمة القبطية ص ٥٠٥)

(٦) زيارة القديس أنطونيوس لأديرة الفيوم

وقد توج القديس أنطونيوس إلى أديرة الفيوم فتفقد رهبانها وأوصاهم أن يثابروا على الصلوات والابتهالات ليسحقوا شوكة ابليس التى تشتد وطاتها

بنوع خاص على الرهبان.

(٧) إزدهار الرهبنة فى مصر فى أيام القديس اثناسيوس

وفى زمن البابا القديس اثناسيوس الرسولى إزدهرت الرهبنة المصرية ونمت نمواً عظيماً وترتبت أمورها على يد القديسين الاطهار الأنبا أنطونيوس ومعاصريه الأنبا باخوميوس والأنبا أمونيوس والأنبا مكاريوس.

وقد استعان القديس اثناسيوس بهؤلاء الرهبان الأفاضل فى جهاده حتى أن القديس أمونيوس الراهب المصرى صحبه إلى رومه وأدهش الناس بزهده وشدة تقشفه وإزدرائه باحوال العالم ومظاهره الخلابة إذ أنه انصرف عن رؤية عجائب رومة إلى قبرى القديسين العظيمين الرسولين بطرس وبولس حيث كان يزورهما يومياً ويلقى نفسه أمامهما بحرارة دينية عجيبة.

(٨) آخر أيام القديس أنطونيوس

فى سنة ٣٥٥ ميلادية نزل القديس أنطونيوس إلى الاسكندرية لمحاربة بدعة أريوس وكان عمره وقتئذ ١٠٤ سنة.

وهكذا ظل القديس أنطونيوس يبذل جهداً عظيماً حتى آخر نسمة من حياته فى سبيل نشر التعاليم المسيحية وفى سن القوانين النسكية.

ولما شعر بدنو الأجل أمر أولاده أن يخفوا جسده وأن يعطوا عكازه لتلميذه القديس مكاريوس، وأحد ثوبيه وهو من الفراء للقديس اثناسيوس الرسولى، والثوب الآخر وهو الملوطة الجلد لسرابيون تلميذه أسقف دندره.

(٩) نياحة القديس أنطونيوس

ثم رقد فى الرب هذا الرجل العظيم والعاهل الكبير والزاهد القدير

مؤسس الرهبنة المسيحية فى العالم حيث افترش الأرض وأسلم الروح لخالقها فتلقتها صفوف الملائكة والقديسين وحملتها إلى موضع الراحة الأبدية فى يوم ٢٢ طوبه سنة ٧١ للشهداء الأبرار (سنة ٣٥٥ ميلادية).

وقد دُفن جسده الطاهر أمام باب الهيكل القبلى بالكنيسة التى بناها فى حياه باسم السيدة العذراء وسميت فيما بعد بإسمه.

وقد عاش القديس انطونيوس مائة وخمس سنوات قضاها كلها فى الجهاد فى سبيل القداسة والطهارة مدافعاً عن الايمان المستقيم بكل جهد وحرارة ناشر لواء الرهبنة والزهد ومؤسساً قواعدها.

ولم تنزل كنيسة العذراء القديمة الأثرية التى تحمل اسمه الآن تضم جسد القديس أنطونيوس الكريم داخل دير عظيم، شيد أساسه فى أيامه بجوار مغارته بجبل العربة وهو فى مساحة عشرين فداناً وبه حديقة تزيد مساحتها عن عشرة أفدنة وترويها عين ماء جارية تفيض من صخرة مرتفعة. وبه أيضاً ست كنائس، بنى أحدثها البابا كيرلس الرابع الذى كان رئيساً على هذا الدير قبل رسامته بطريركاً.

(خامسا) القديس مكاريوس المصرى

(١) المكاريوسات الثلاث

إن القديس مكاريوس المصرى الشهير باسم "أبو مقار الكبير" هو أحد الثلاثة مكاريوسات المذكورين فى صلاة المجمع الواردة فى الخولاجى القبطى أما الاثنان الأخران فأحدهما مكاريوس الاسكندرى وسترد ترجمته أثر ترجمة سميه المصرى لمعاصرتهما لبعضهما. أما مكاريوس الثالث فى الأسماء فهو مكاريوس أسقف قاو الذى زامل البابا ديوسقورس فى الجيل

الخامس فى مجمع خلقيدونيه.

(٢) أبو مقار الكبير المشهور باسم مكاريوس المصرى ورهبنته

ولد مكاريوس المصرى بالصعيد فى سنة ٣٠١ ميلادية، وقيل إنه ولد فى بلدة شنشور بمديرية المنوفية، والرأى الراجح هو الأول. وكان والداه مسيحيين وبثا فيه روح الزهد والنسك فتوجه سنة ٣٣١ ميلادية إلى صحراء ليبيه وأقام هناك ببرية الأسقيط بوادى النطرون. ثم تتلمذ للقديس أنطونيوس الذى ألبسه أسكيم الرهبنة.

(٣) تأسيس دير أبو مقار فى وادى النطرون

ولما عاد القديس مكاريوس بعد رهبنته إلى الأسقيط ببرية شيهات فى وادى النطرون على اسم السيدة العذراء وقد عرف أولاً باسم دير القديسين مكسيموس ودوماديوس ولدى الامبراطور فلنتنيانوس الأول قيصر الغرب اللذين هجرا العالم وبذخ الملك وتتلمذا للقديس مكاريوس الكبير ثم عرف الدير باسم دير البراموس.

وفى سنة ٣٤٠ ميلادية سيم القديس مكاريوس قساً ليقوم بتأدية الاسرار الالهية. وإذ التف حوله كثيرون من الرهبان بنى لهم ديراً لم يزل لليوم معروفاً باسم "دير القديس مكاريوس" أو "دير أبو مقار". وقد نما عدد رهبان هذا الدير حتى بلغ الف وخمسمائة راهب كانت لهم مكانة عليا ومنزلة كبرى.لما اشتهروا به من كثرة الحكمة ووفرة التقوى.

(٤) نفى مكاريوس إلى أسوان

وفى سنة ٣٧٥ ميلادية أمر الامبراطور فالنس بطرد جميع رؤساء الأديرة

الذين حافظوا على الايمان الأرثوذكسى القويم. فنفذ لوكيوس الأريوسى هذا الأمر بأن نفى القديس مكاريوس وكثيرين من الرهبان إلى جزيرة فيله التى ما لبث سكانها أن اعتنقوا المسيحية بواسطة الآيات التى أجراها الله على يد ذلك القديس (دائرة المعارف الفرنسية)

(٥) عودة القديس مكاريوس من النفى

وحوالى سنة ٣٧٦ ميلادية عاد القديس مكاريوس إلى بريته بوادى النطرون واستأنف أعماله التقوية وظل يعلم المتوحدين ويرشد الأخوة الراهبين إلى آخر نسمة من حياته الطاهرة.

(٦) أخلاقه ومؤلفاته

اشتهر القديس مكاريوس بسمو أخلاقه فكان وديعاً شديد الغيرة على المسيحية مدافعاً عظيماً عن تعاليم الكنيسة الأرثوذكسية المستقيمة

وقد كتب بلغته القبطية أكثر من ٥٠ رسالة فى مواضيع دينية متنوعة طبعت فى باريس سنة ١٥٥٩م. أما رسائله اللاهوتية السبع فطبعت بالفرنسية فى مدينة طولوز بفرنسا سنة ١٦٨٤م وكتب العلامه المستشرق أميلينو تاريخ هذا القديس باللغتين العربية والفرنسية سنة ١٨٩٤م.

(٧) نياحة القديس مكاريوس الكبير

وقد انتقل القديس مكاريوس إلى دار الخلد فى ٢٧ برمهات سنة ١٠٨ للشهداء (سنة ٣٩٢ ميلادية) بالغاً من العمر سبعين سنة تاركاً برية الأسقيط تحاكى السماء موطن الملائكة ومقر التسبيح والتمجيد (أميلينو ـ تاريخ أبو مقار ومختصر تاريخ الأمة القبطية ص ٥٠٧ و٥٠٨ وخلاصة تاريخ

المسيحية فى مصر ص ٧٨ و٧٩).

(سادساً) الأنبا مكاريوس الاسكندرى

(١) مكاريوس الصغير

ولد مكاريوس الصغير بالاسكندرية سنة ٣٠٦ ميلادية (سنة ٢٢ للشهداء) ولذا لقب بمكاريوس الاسكندرى، ولما كبر هذا القديس تتلمذ للقديس أنطونيوس وترهب بوادى النطرون فى أيام الأنبا مكاريوس الكبير وأقام هناك مدة طويلة سيم فى خلالها قساً بعد أن التف حوله أكثر من خمسة آلاف راهب ومتوحد.

ولما كان القديس مكاريوس الصغير متمسكاً بايمان البابا القديس اثناسيوس الرسولى فقد اضطهده الامبراطور فالنس الأريوسي اضطهاداً شديداً وأذاقه عذاباً أليماً غير أن الله أراد أن ينجو هذا القديس فعاد إلى بريته.

(٢) مؤلفاته

وضع القديس مكاريوس قوانين كثيرة طبعت فى باريس سنة ١٦٣٧م ورسالة فى نفوس الأبرار بعد الموت "طبعت فى أوترخت بسويسرا سنة ١٦٩٦م.

(٣) انتقاله من العالم

وبعد عودة هذا القديس من النفى إلى ديره مات بين رهبانه فى ٦ بشنس سنة ١١٢ ش (مختصر تاريخ الأمة القبطية ص ٥٠٩).

(سابعا) القديس امونيوس

(١) ميلاده وأسرته

ولد القديس امونيوس أو آمون بجوار مريوط سنة ٢٩٤ ميلادية (سنة ١٠ للشهداء) من أسرة مسيحية ذات ثروة واسعة وجاه عظيم ومات والداه وتركاه تحت وصاية عمه.

(٢) زواجه وعفته

قام عم أمونيوس بزواجه على غير إرادته بفتاة غنية كانت تميل مثله إلى العزلة والانفراد، فاتفقا فيما بينهما أن يحافظا على بتوليتهما وينذراها للرب رغماً من أنهما كانا يعيشان سويا فى معيشة واحدة. وقد ظلا محافظين على عفتهما عاملين بهذا الاتفاق الروحانى حتى ماتت الزوجة عذراء قديسة بعد مرور سبع عشرة سنة من تاريخ عقد زواجهما.

(٣) هجرة امونيوس ورهبنته وعمار الأديرة على يديه

ولما تنيحت زوجته العذراء هجر أمونيوس مسقط رأسه، وتتلمذ للقديس أنطونيوس الذى أوفد إلى وادى النطرون لتأسيس أديرة هناك فقام أمونيوس بهذه المهمة خير قيام، وما لبث أن انضم تحت لوائه كثيرون من النصارى المصريين فساسهم بالفضيلة والتقوى.

(٤) انتقال أمونيوس من العالم

وبعد أن أتم هذا القديس مهمته فى عمار الأديرة بالوادى انتقل من العالم فى يوم ٢٠ بشنس سنة ٧٣ للشهداء، الموافقة لسنة ٣٥٦ ميلادية (مختصر تاريخ الأمة القبطية ص ٥٠٦ و ٥٠٧)

(ثامنا) القديس باخوميوس

(١) ميلاده وعائلته

ولد القديس باخوميوس فى مدينة طيبه سنة ٢٩٤ ميلادية (سنة ١٠ للشهداء) من أبوين وثنيين أجبراه ذات يوم على عبادة الأوثان فلعنها وهزأ بها، ولم يقبل عقله التسليم بهذه العبادة المنافية للمعقول.

(٢) تطوعه فى الجيش الرومانى

ولما بلغ باخوميوس أشده تطوع فى الجيش الرومانى وحضر مواقع حربية أظهر فيها شجاعة فائقة وهمة عالية.

(٣) اعتناقه الديانة المسيحية

وحدث أن دخل ذات مرة مع رفقائه من الجنود إحدى المدن المسيحية فأكرمهم أهلوها، فمس هذا الإكرام قلبه، وكان ذلك سبباً فى اعتناقه الديانة المسيحية، فلما غادر الجندية وعاد إلى بلده أشهر مسيحيته على يد أنبا سرابامون أسقف دندره القديس العظيم، وله من العمر يومئذ خمس وعشرون سنة.

(٤) ميله للوحدة والرهبنة

وبعد ما اعتنق باخوميوس الديانة المسيحية كان ميالا لعيشة العزلة والانفراد فتوجه إلى أسوان حيث تتلمذ للانبا بلامون الذى أدمجه فى سلك رهبانه. فامتاز عليهم فى صرامة العيش وطول الصوم.

وفى ذات يوم بينما كان باخوميوس بعيداً عن ديره يصلى ويتضرع ظهر له ملاك الرب وأشار إليه ببناء دير فى جهة طابنيس التابعة لأيبرشية دندره،

ثم سلمه قانوناً أمره بتنفيذه فى الرهبان الذين يقتفون أثره ويلتفون حوله.

(٥) بناء أول دير فى طابنيس

وتنفيداً للأوامر الإلهية التى صدرت اليه قام الانبا باخوميوس ببناء الدير فى طابنيس، وسرعان ما أمه كثيرون من طلاب الحياة الابدية الذين بلغ عددهم ما ينيف عن السبعة آلاف راهب. وكان فى مقدمة هؤلاء الرهبان يوحنا أخو الانبا باخوميوس الذى بعد أن قضى سنتين فى ذلك الدير مات باراً تقيا.

(٦) زيارة القديس اثناسيوس الرسولى لايبارشيات الصعيد وأديرتها

وحوالى سنة ٤٩ ش الموافقة لسنة ٣٣٣م زار القديس اثناسيوس الرسولى ايبارشيات الصعيد لتثبيت رعيته فى الايمان الارثوذكسى. وما وصل إلى هذه الأديرة حتى مجد الله الذى أبدل أسد الفلا ونمورها المتوحشة بملائكة أرضيين وبشر سماويين يسبحونه فى كل آن.

(٧) بناء دير للراهبات

وفى سنة ٥٦ ش (سنة ٣٤٠م) قام القديس باخوميوس ببناء دير للراهبات الزاهدات اللاتى سمعن وصية بولس الرسول فحفظن بتوليتهن ونذرنها للرب. ثم جعل اخته مريم التى اشتهرت بالورع والتقوى رئيسة على ذلك الدير الذى انتظم بين جدرانه أربعماية راهبة مصرية فساستهن بالمحبة.

(٨) انتقال القديس باخوميوس من العالم

ولما اقتربت منية القديس باخوميوس سلم قيادة جيوش رهبانه لتلميذيه

تاودروس وبترونيوس ثم رقد بالرب في يوم ١٤ بشنس سنة ١٢٢ ش (سنة ٤٠٦م). (خلاصة تاريخ المسيحية فى مصر ص ٧٨ ومختصر تاريخ الأمة القبطية ص ٥٠٩ ـ ٥١١ وسيرة القديسين للآباء الدومينيكان جزء أول ٥٨١ ـ ٥٨٣).

(تاسعاً) القديس شنوده رئيس المتوحدين

(١) ميلاده ونشأته

ولد القديس شنوده رئيس المتوحدين فى قرية شندويل بمديرية جرجا فى سنة ٣٣٣ ميلادية (٤٩ ش) من عائلة عريقة فى المسيحية حيث كان خاله الانبا بيجول. وكان فى حداثته يرعى غنم أبيه. ثم أرسله والده إلى دير قريب

من سوهاج ليتعلم ويتهذب، وكان هذا الدير تحت رئاسة خاله بيجول.

(٢) رهبنة الأنبا شنوده وإنتخابه رئيسا للدير

ولما اختلط الأنبا شنوده منذ نعومة أظفاره بالرهبان المحنكين بالعلم والتقوى اقتبس منهم الفضيلة وفاقهم فى الزهد. وقد وصل فى العلم إلى درجة أرتقى معها سنام المجد وصعد فروع العلى فاختاره لذلك جماعة الرهبان رئيسا عليهم بدل خاله الأنبا بيجول بعد رقاده. فنظم إدارة الدير ووسع نطاقه وقد بلغ عدد الرهبان فى عهده ٢٢٠٠ راهباً بالدير الأبيض و ١٨٠٠ راهباً بالدير الأحمر، وما زال الديران باقيين إلى اليوم معروفين باسمه على مقربة من سوهاج. وقد سمى الأول بالدير الأبيض نسبة إلى لون الحجر الذى بنى به وسمى الثانى بالدير الأحمر نسبة إلى لون الحجر الذى بنيت به أسواره، واطلق عليه أيضا اسم دير انبا بشوى.

(٣) البابوات الذين عاصرهم

عاصر القديس شنوده البابا القديس اثناسيوس الرسولى الذى ترهبن فى عهده والبابا القديس تاوفيلس والبابا القديس كيرلس الأول عامود الدين والبابا القديس ديسقورس الشهيد فى غربته.

(٤) فصاحة الأنبا شنوده ومقدرته اللاهوتية

كان الأنبا شنوده عالما مقتدراً فى الدين ومدرهاً مفوهاً عن العقيدة محامياً عن تعاليم الكنيسة الأرثوذكسية متمسكا بكل قواه بطبيعة المسيح الواحدة المتجسدة، ذلك التعليم المستقيم الرأى الذى أجمعت عليه الكنيسة منذ تأسيسها، وله مؤلفات نفيسة ومواعظ بليغة ألفها باللغة القبطية وعثر عليها الإفرنج ونقلوها إلى دور كتبهم.

(٥) حضوره مجمع أفسس المسكونى

وقد شهد القديس شنوده مجمع أفسس الأول مع البابا كيرلس الأول عامود الدين فى سنة ٤٣١ ميلادية، وأظهر كفاءة علمية كبرى فى دحض بدعة نسطور المنافق.

(٦) اشتراكه مع البابا ديسقورس فى محاربة المفسدين

ولما علم القديس شنوده فى أيام البابا ديسقورس البطريرك الإسكندرى (٢٥) أن هناك من يحاولون العبث بالتعليم بطبيعة المسيح الواحدة المتجسدة، ذلك التعليم المجمع عليه من الكنيسة الجامعة الرسولية منذ تأسيسها، حارب أولئك المفسدين وكاد يقضى عليهم وعلى ما كانوا يحاولون عمله، لو لم تحل منيته دون ذلك.

(٧) شدة الأنبا شنوده فى إدارة رهبنته

واشتهر الأنبا شنوده بالشدة والصرامة فيما سنه من القوانين لرهبانه وكان لديه مجلس شورى لسياسة شؤون الدير وقد أطلق عليه اسم "رئيس المتوحدين".

(٨) نياحتـــه

وقد انتقل القديس شنوده رئيس المتوحدين فى يوم ٧ أبيب سنة ١٦٨ ش (٤٥٢م). (كتاب خلاصة تاريخ المسيحية ص ٧٦ و ٧٧ ومختصر تاريخ الأمة القبطية ص ٥١٢ و ٥١٣).

الفصل السابع
جهاد اثناسيوس فى سبيل الايمان

نبوءة القديس باخوميوس أب الرهبان

قال القديس باخوميوس عندما رأى الأنبا اثناسيوس : "إن هذا البابا سيكابد آلاما كثيرة فى خدمة الديانة الحقة". ولقد تحققت هذه النبوءة كما سيأتى بيانه.

رضاء قسطنطين عن اريوس المنبوذ

فبعد ان تبوأ اثناسيوس كرسى البطريركية فى ٥ مايو سنة ٣٢٨ ميلادية اظهر قسطنطين رضاءه عن اريوس المنبوذ من البيعة المقدسة عندما تظاهر بندمه وتوبته ورجوعه عن ضلاله. ولما رفض اثناسيوس طلب الامبراطور كتب هذا الأخير خطاباً الى القديس اثناسيوس يطلب فيه ان يحل اريوس فأجابه بعدم قبول حله. فاغتاظ الامبراطور وكتب اليه ثانية وأمر بشدة ان يترك باب الأنضمام للكنيسة مفتوحاً لكل من يقصدها، واذا أبدى أية معارضة فانه سيرسل جنوده فى الحال لعزله ونفيه.

فرد عليه القديس اثناسيوس بحزم قائلا : "ان كنيسة الله لا يمكن ان تكون لها شركة مع الهرطقة التى حاربت يسوع المسيح". كما أنه أبى أن يطلب من الله تعالى هلاك أريوس تمسكاً بقول الرب : "إننى لا أريد موت الخاطئ إلا أن يتوب فيحيا". (كتاب حامى الإيمان ص ٦٥ وكتاب ١٣ تاريخ ص ٥٤ R).

عدم استقرار السلام فى البيعة المقدسة

يظهر أن تحديد أمانة نيقية لعقيدة الكنيسة الرسولية الجامعة، وأن قرار المجمع الذى صدر ضد أريوس وتعاليمه لم يعد السلام إلى البيعة لأنه فى سنة ٣٢٨م أعيد الأساقفة الأريوسيون الذين حرمهم مجمع نيقية المسكونى المقدس إلى كراسيهم. وقد تمكنوا بدهائهم ودسائسهم وبذبذبة أنصارهم من التقرب إلى الإمبراطور قسطنطين.

تأثير الأميرة قسطندة على شقيقها قسطنطين لمساعدة الأريوسيين

وقد توسل أولئك الأساقفة الأريوسيون وأنصارهم بالأميرة قسطندة شقيقة الإمبراطور التى أهلك أخوها زوجها وابنها. فعندما كانت على فراش الموت بنيقوميديه طلبت بإيعاز من كاهنها الخاص يسطوسيوس أن ترى الإمبراطور لتودعه الوداع الأخير. فلما قابلها قسطنطين أظهرت له رغبتها فى أن يدعو زعماء الأريوسيين ويعيد الوحدة إلى الكنيسة وإلى الإمبراطورية المقدسة (فوتيوس المكتبة ٦٦١ واستانلى ص ٢١٦).

وقد صادف هذا الطلب قبولا عند قسطنطين الذى كان يتوق إلى توحيد أحزاب الكنيسة المختلفة وائتلافها (استانلى ص ٢١٦)، فأرسل يستدعى أريوس من منفاه هو وشمامسة أوزريوس، وقدما للقيصر كتاباً أوضحا فيه عقيدتهما بألفاظ ملتبسة المعنى لا تقيد الأريوسيين بعقيدة خاصة فاقتنع قسطنطين ببراءتهما وأصدر أمره بالعفو عن كل الأساقفة الذين كانوا قد نفوا بسبب الأريوسية. فعاد هؤلاء الذئاب إلى كراسيهم وعادت معهم المنازعات والمشاغبات.

إعادة نفوذ الأريوسيين

تحت زعامة يوسابيوس النيقوميدى

وما وصل يوسابيوس أسقف نيقوميديا وتيوغنيس أسقف نيقية إلى مقرهما حتى عقدا سنة ٣٢٩م مجمعاً فى أنطاكيه حكم على بعض الأساقفة الأرثوذكسيين بعزلهم من أسقفياتهم بحجة أنهم "سابليون" وكذلك حكم بتثبيت معتقد أريوس وبوجوب الاشتراك معه فى الخدمة الكهنوتية.

(سوذومين ك ١ف ١٩، ك ٢ف ١٦ و ١٧، ك ٣ ف ١٣ وسقراط ك١ ف ٢٣ ـ ٢٦ وتاودوريتس ك١ ف ٢١).

ثم كتب أوسابيوس النيقوميدى إلى اثناسيوس بابا الاسكندرية رسالة يدعوه فيها إلى قبول أريوس فى شركته فأبى الحبر الاسكندرى ذلك متمسكا بقرارات مجمع نيقية المسكونى المقدس التى كانت تحظر قبول مثل ذلك الانسان. ولما يئس الأريوسيون من استمالة اثناسيوس اليهم وشوا به إلى الأمبراطور قسطنطين مدعين عليه أنه مدّ بالمال فيلومينوس عدو الحكومة الرومانية ليساعده على التمرد والعصيان (اثناسيوس الاحتجاج الثانى ضد الأريوسيين وتاودوريتس ك ١ف ٢٥ وسقراط ك ١ ف ٢٧)

وهكذا كرّس يوسابيوس النيقوميدى جهوده لمهاجمة زعماء نيقية وكبار المدافعين وكان ضحيته الكبرى القديس اسطاطيوس بطريرك أنطاكية الارثوذكسى فقد تمكن من خلعه سنة ٣٣٠م كما توصل الى خلع غيره من الآباء الأرثوذكسيين باسناد التهم المختلفة اليهم وأقاموا مكانهم غيرهم من الأريوسيين. وأثار الأريوسيون على البابا اثناسيوس حملتهم المتقدم

ذكرها كما أحدثوا القلاقل فى مصر بتشجيع أنصار ميلاتيوس الأسيوطى وضمهم إلى صفوفهم، وقد ساعدهم على نجاح مهمتهم الخلاف الذى شجر بين الأمبراطور والبابا اثناسيوس برفضه قبول أريوس فى الكنيسة كما تقدم ذكره (لاروس القرن العشرين جزء أول ص ٤١٠ ودائرة المعارف البريطانية جزء ثان ص ٥٩٨).

إتهام القديس اثناسيوس وظهور براءته

ولما أخذت الوشايات تتسع والانشقاقات تزداد انقساما وفتح الامبراطور أذنيه للوشايات التى يثيرها حزب أوسابيوس النيقوميدى لأنه اعتقد أن الجانب الأرثوذكسى هو الذى يحول دون نشر ألوية السلام، وأخذ أعداء الكنيسة يصورون الشعب المستقيم الرأى بالخروج عن الطاعة ويتهمون البابا اثناسيوس ظلماً أنه يستولى من الشعب على أمواله ويسلب أموال الكنيسة وكنوزها وانه يضرب خصومه ويعذبهم ويمارس السحر والشعوذة كما اتهموه بقتل أوسانيوس أحد المنشقين عليه وقدموا للأمبراطور يداً مقطوعة لإثبات دعواهم الكاذبة (الطوخى ص ٦٥ ـ ٦٧).

وقد صدّق الامبراطور قسطنطين كل هذه الاتهامات والافتراءات فكتب إلى اثناسيوس رسالة تهديد دعاه فيها للمثول بين يديه ليدافع عن نفسه فلبى اثناسيوس الدعوة وسافر إلى نيقوميديه ودافع عن نفسه أمام الأمبراطور ودفع عنه كل التهم التى نسبها اليه خصومه الأريوسيين وأظهر بطلانها وكذبها بالأدلة القاطعة وأثبت أنها كلها مختلفة ولا أساس لها من الصحة بل كلها مبنية على الباطل فحكم الأمبراطور قسطنطين بعد سماع دفاع اثناسيوس ببراءته مما وصموه به وأعطى الأمبراطور لهذا البابا البرئ الكتب

الرسمية الدالة على براءته فعلقها عند عودته إلى مقر كرسيه فى الاسكندرية على جدران الأماكن العامة بالاسكندرية.

(سقراط ١ ف ٢٧ و ٢٨ والاحتجاج الثانى لاثناسيوس ضد الأريوسيين)

حفاوة الشعب باثناسيوس

كان لاثناسيوس أنصار وأحباء كثيرون يناضلون عنه ويذيعون فضائله بين الشعب الذى كان يكرمه ويجله ويقدس جهاده ويقدّر دفاعه عن الايمان المستقيم.

وكان يظهر هذا الإكرام فى حسن استقباله بعد عودته من نيقوميديه والحفاوة به إينما حل وحيثما رحل، فى البر أو فى النيل، لتفقد رعاياه وزيارتهم فكانوا يقابلونه بالهتاف والتهليل ويظهرون تعلقهم به وإخلاصهم له ويغدقون عليه التبرعات الكثيرة لكى يضطلع بمهمته الشاقة على الوجه الأكمل (الطوخى ص ٦٦ و ٦٧).

مجمع قيسارية فلسطين سنة ٣٣٤ ميلادية

ولما اشتدت الأزمة بين أنصار القديس العظيم اثناسيوس والأريوسيين الهراقطة خصوم بطل الأرثوذكسية لفشلهم فى مراتهم السابقة فى إتهاماتهم الباطلة ورغم إتضاح براءة اثناسيوس للأمبراطور فان هذا الأخير لم ير أمامه سوى عقد مجمع من الأساقفة فى قيسارية فلسطين سنة ٣٣٤م ليحل هذه الازمة التى حلت بالكنيسة الجامعة الرسولية ويحد من سلطان اثناسيوس من جهة أخرى، لأن هذا القديس قد استعاد نفوذه بسرعة لمنزلته العظيمة فى قلوب المؤمنين الارثوذكسيين ولتفوقه العلمى على خصومه.

واستدعى الامبراطور القديس اثناسيوس إلى الاشتراك فى هذا المجمع الفلسطينى أكثر من مرة ولكنه لم يجب هذه الدعوة مطلقا.

ولما رفض اثناسيوس الحضور لمجمع قيسارية فلسطين تلبية لرغبة الامبراطور اغتنم أعداؤه هذه الفرصة للايقاع به مرة أخرى لدى الامبراطور قسطنطين وهيجوا أقلية ضده بحجة أنه لم يذعن لأوامره فعقد مجمعاً آخر في صور سنة ٣٣٥ ميلادية (الطوخى ٦٦ و ٦٧).

محاكمة أثناسيوس أمام مجمع صور

حتم الأمبراطور على أثناسيوس الحضور إلى المجمع فى صور وأناب عنه الكونت ديونيسيوس أحد عظماء الدولة لمراقبة أعمال المجمع وأرسل إلى المجمع الرسالة الامبراطورية الآتية :ـ

"لاريب فى انه مما يتفق مع صفاء هذه الأيام أن تكون الكنيسة الجامعة متحدة مؤتلفة وخدام المسيح بعيدين عن كل لوم ولكن حيث أنه يوجد اناس مدفوعون بروح البغضاء والهياج وإحداث المنازعات ـ ولا أريد أن أفهمهم بأنهم يعيشون عمداً عيشة لا تليق بوظيفتهم ـ يحاولون أن يحدثوا ذلك الخيال العام الذى هو فى نظرى شر من جميع المساوئ فانى ألح عليكم ـ مع علمى بعنايتكم ـ أن تجتمعوا وتعقدوا مجمعا بلا ابطاء وان تدافعوا عن الذين يحتاجون إلى الرعاية والعناية. وان تقدموا العلاج لأخوانكم الواقعين فى الخطر. وأن تستردوا الأعضاء المنقسمين إلى وحدة الحكم. وان تصلحوا الخطأ مادامت الفرصة سانحة حتى تعيدوا بذلك الوفاق إلى بلاد كثيرة هى فى مسيس الحاجة إليه. ذلك الوفاق الذى جنت عليه كبرياء بعض الأفراد، وهى مخالفة يؤسف لها وتوجب الدهشة".

"وأظن أن الجميع موقنون بأن هذه الخطة مرضية لله القدير وهى جل رغبتى. وأن فزتم بإعادة السلام عاد ذلك عليكم بالفخار، فلا تتوانوا إذاً بل عجلوا بغيرة مضاعفة فى إزالة الانشقاقات الحاضرة بما يلائم الحال وذلك بأن تجتمعوا بروح الصداقة الحقيقية والإيمان المستقيم الذى يطلبه منا المخلص الذى نخدمه. ويمكننى أن أجاهر بأن هذا مطلوب منا فى كل حين ولا اقصر فى إقامة الدليل على غيرتى الصادرة عن تقوى. وقد فعلت قبلاً كل ما أشارت به رسائلكم وأستدعيت الأساقفة الذين طلبتم حضورهم ليشتركوا معكم فى الرأى".

"وأرسلت ديونيسيوس الحائز لرتبة قنصل لينبه الرعاة المكلفين بالحضور فى المجمع معكم إلى واجباتهم ويكون حاضرا بنفسه ليراقب الأعمال كلها وليحفظ النظام بصفة عامة".

"وفى خلال هذه الحقبة إذا اجترأ أحد فى هذه المرة على مخالفة أمرى وامتنع عن الحضور وهو ما لا أخاله محتمل الوقوع. يبعث رسول فى الحال لنفى ذلك الشخص بمقتضى أمر أمبراطورى ليعلم الجميع أنه ليس من اللياقة مقاومة الأوامر الأمبراطورية الصادرة دفاعاً عن الحق".

"أما ما بقى لقداستكم لبعدكم عن العدوان وترفعكم عن المحاباة ورغبتكم فى العمل بما ينطبق على النظام الكنايسى الرسولى. أن تجدوا العلاج اللائق للأخطاء الحقيقة أو الهفوات غير المقصودة حتى تخلو الكنيسة من كل شائبة وتزيلوا قلقى واضطرابى".

"وبإعادة السلام للمنقسمين فى الوقت الحاضر تنالون أكبر فخر وأعظم شرف والله تعالى يحفظكم أيها الاخوة المحبوبون" (الطوخى ص ٦٧ ـ ٦٩).

وبناء على هذا اجتمع المجمع الصورى وحضره كثيرون من الأساقفة الذين حضروا مجمع نيقية المسكونى الأول وكان عددهم ستين، معظمهم من حزب يوساب الاريوسى أسقف نيقوميديه وقد أستجاب اثناسيوس هذه الدعوة باسطاً جناح العفو على إساءة القوم له واصطحب معه خمسين أسقفا مصريا منهم بوتامون أسقف هيراقليوبوليس وبفنوتيوس أسقف طيبة اللذين كانا معه فى مجمع نيقية.

وقد بلغت القحة بأولئك "القضاة الخصوم" بأن اعترضوا على جلوس اثناسيوس فى المكان اللائق بمقامه الكبير وطلبوا بشدة أن يقف فى الوسط بالادعاء عليه بأنه متهم فلا يصح له الجلوس. فاقترب بوتامون الأسقف المصرى من يوساب الاريوسى وقال له : "أتجسر أن تجلس قاضيا ويقف أمامك اثناسيوس متهماً؟ لقد سجنت معك فى أيام الاضطهاد وقد فقدت عينى فكيف خرجت أنت ولم تصب بأذى؟".

فأجابه فى الحال بكل وقاحة قائلا : "لقد كانوا على حق فى إتهامكم بالظلم. وإذا كنتم تعاملوننا هنا بهذه الكيفية فمن السهل أن نفهم كيف تعاملون الناس فى بلادكم".

واقترب بفنوتيوس المجاهد المصرى من مكسيموس أسقف أورشليم الذى اشترك معه فى الاصابات فى زمن الاضطهاد وقال له : "حيث ان بجسمينا آثار الاضطهاد وقد فقد كل منا إحدى عينيه من أجل الحق فلا يمكننى أن أدعك تجلس مع الأشرار وتشترك مع مرتكبى الأثم". ثم أمسك بيده واقتاده من وسط اليوسابيين وأجلسه إلى جنبه وأوضح له حقيقة نيات الذين عقدوا المجمع، وارفضت الجلسة على هذه الصورة فى ذلك اليوم على غير جدوى.

وما وافى ميعاد انعقاد الجلسة من هذا المجمع غير الشرعى حتى قام اثناسيوس قبل البدء فى العمل بالاحتجاج بأن تأليف المجمع غير قانونى وأن أعضاءه غير منزهين عن التحيز والخصومة، ولكنهم لم يعبأوا باحتجاجه وتحيز الاريوسيون غيظا متهمين اثناسيوس الرسولى الطاهر بتهم عديدة نغض عنها البصر. فقدم خصومه صحيفة اتهامه وفيها الوشايات التى أذاعوها فى الاسكندرية، ولم ينسوا أن يتهموه فى عفته وهى الوصمة التى اعتادوا إسنادها إلى كل من أرادوا اسقاطه، فقد أتوا بامرأة باغية ادعت أنها من عذارى الكنيسة وأن اثناسيوس اعتدى عليها وسلب بكارتها. ولحسن الحظ لم تكن تعرف شكل اثناسيوس فقام تيموثاوس قس كنيسة الاسكندرية متظاهراً أمام المرأة بأنه هو اثناسيوس وأنكر الحادثة المعزوة إليه، فقالت له هذه الفاجرة بجسارة غريبة : "نعم أنتِ يا أثناسيوس أغويتنى وافقدتنى عفتى التى نذرتها للرب" فأتضح كذبها وفضحت مؤامرة خصوم اثناسيوس الكاذبة، ولكن لم يكن هذا الانخذال ليرجع الاريوسيين الكذبة عن غيهم إذ ما لبثوا أن ادّعوا على القديس أثناسيوس انه قتل ارسانيوس أسقف هبسل (شطب) وانه قطع ذراعه واستخدمه فى السحر والشعوذة. فأوعز اثناسيوس إلى أحد أتباعه فأحضر ارسانيوس أمام المجمع صحيح اليدين (كراوية ثاؤذوريتس فى ك ١ ف ٣٠) وقال لهم مبتسما : "هاكم أرسانيوس بيديه صحيحتين والله تعالى لا يعطينا عادة أكثر من يدين. فاذا ظننتم انه كان له ثلاث أيدى فأرونى مكان الثالثة؟". وما رأى الأريوسيون وجه ذلك الأسقف حتى غلى مرجل غضبهم فادعوا ان أثناسيوس بقوة سحره قد أظهر شبح أرسانيوس ...

وأخيراً اتهموا القديس اثناسيوس بمعاملة المليتيين بالقسوة إذ أمر بحبس العلمانيين منهم والقسوس بل والاساقفة وادعى عليه اسخيراس أن مكاريوس

أحد كهنة اثناسيوس دخل كنيسته أثناء قيامه بالخدمة المقدسة وخطف الكأس من بين يديه وحطمه والقى بالحمل على الأرض وأهان المذبح وأحرق الكتب المقدسة. ففند القديس اثناسيوس هذه التهمة بقوله : "إن اسخيراس لم يكن كاهناً بشهادة سيليتوس نفسه ولذلك ليس له أن يغتصب الرتب الكهنوتية وأن اليوم المذكور فى تقريره لم يكن يوم أحد ولذا لم يكن فيه خدمة فالحادثة المذكورة والحالة هذه لا يمكن وقوعها البتة وأن اسخيراس نفسه أرسل اليه خطابا يتضمن الإذعان وإنكار ما قرره قبلاً" (الطوخى ص ٦٩ ـ ٧١ واحتجاج اثناسيوس رقم ٢ ضد الأريوسيين).

فلما سقطت هذه التهم المنسوبة إلى القديس البرئ أثناسيوس طلب اليوسابيون من الكونت تأجيل الاجتماع وإرسال لجنة إلى الاسكندرية لتحقيق هذه الواقعة فى مكانها فاحتج اثناسيوس على هذا الطلب ولكن أنصاريوساب الأريوسى انتخبوا هيئة منهم للقيام بهذه المهمة فاعترض على عملهم الاساقفة المصريون وشاركهم فى ذلك بعض أساقفة آسيا كما أعلن الكونت عدم وجاهته ولكن كل ذلك لم يجد نفعاً وسافرت بعد أيام قلائل إلى الاسكندرية لجنة الخمسة وهم تيؤدوروس وتيوغنيس ومادى من الأريوسيين الشرقيين وأورذاس وفالانس من الغربيين. اما الاثنان الأولان فماتا فى الطريق وقام الثلاثة الباقون بهذه المهمة الدنيئة المفتعلة. ويتضح من ذلك أن الغرب كان السبب فى أول المصائب التى حلت بالقديس اثناسيوس كما كانت أيضا السبب فى معظم المصائب التى صادفها هذا الحبر وحلت به فيما بعد فى حياته (تاريخ الأريوسيين لاثناسيوس ف ٢٩ و ٣٩ و ٤٠ وابيفانيوس فى الهرطقة ال ٦٨ ومختصر تاريخ الأمة القبطية ص ٤٤٥ ـ ٤٤٧).

سفر اثناسيوس إلى القسطنطينية

ولما رأى القديس اثناسيوس تحامل المجمع عليه زوراً وبهتاناً إضطر إلى الهرب وقصد القسطنطينية ليرفع شكواه إلى الأمبراطور، ويرجح أن أرخيلاس كونت فلسطين قد سهل له السفر (دائرة المعارف البريطانية جزء ثان ص ٥٦٩ والطوخى ص ٧١).

حسن تصرف أثناسيوس بالإلتجاء إلى الأمبراطور

وقد علق المؤرخ جيبون على حادث سفر أثناسيوس إلى القسطنطينية فى كتابه "سقوط الأمبراطورية الرومانية" بقوله : "إن سفر أثناسيوس كان بدعة مدهشة دلت على عقل ثاقب وابتكار غريزى ولم يسبقه أحد بالقيام بمثله. صحيح أن بولس الرسول استانف قضيته لنظرها أمام القيصر بروميه. ولكن ذلك كان بطريقة قانونية كانت متبعة فى تلك الأيام. فأرسل محروساً مقيداً إلى رومية وأما أثناسيوس فأخذ معه خمسة من أتباعه وسافر باختياره وعالج باباً جديداً".

وبعد عدة أيام عندما كان قسطنطين عابراً إلى عاصمة ملكه تقدم شخص وقبض على زمام جواده طالباً الإنصاف. فلم يعرفه قسطنطين فى بادئ الأمر ولكن الرجال الملتفين حوله أخبروه بأنه أثناسيوس فغضب قسطنطين وأطلق الجواده العنان. واستمر فى سيره دون أن ينبث ببنت شفة.

غير أنه بعد ذلك ببضعة أيام أذن له بالمثول بين يديه وأصغى بفروغ صبر إلى شكواه من المجمع، ولكنه قاطعه فى كلامه واستاء من الدالة التى اتخذها لنفسه نحوه وأظهرها فى لهجة أقواله بحضرته الأمبراطورية.

وأما أثناسيوس فلم يخف من غضب هذا الجبار الذى كان العالم كله

يرتعد منه فرقاً. بل تمسك بحقه وثبت فى موقفه، ولكنه لما لم يستطع أن ينزع الفكرة الخاطئة التى تملكت على الأمبراطور من جرأته قال له : "أيها الأمبراطور : إن الله تعالى يحكم بينى وبينك لأنك حولت سلطانك إلى جانب الذين يعتدون على ضعفى".

عدل الأمبراطور قسطنطين

ورغم أن الأمبراطور قسطنطين كان سريع الغضب فانه كان عادلا. فلم يكن التجاء أثناسيوس إليه على غير جدوى. ولذلك عزم على أن يسمع الشكوى من كل وجوهها ويحكم فيها بنفسه فأرسل خطابا ثانيا إلى المجمع قال فيه :ـ

"اننى لا أعرف ما قررتموه فى مجمعكم فى جو من الفشل والخبال والنزاع وأخشى أن يضيع الحق بين هذه الشدائد. أرونى بأعمالكم أن قراراتكم صادرة عن نزاهة ومطابقة للحق. ولا تنكروا علىّ فانى خادم الله الأمين إذ بالصلاة التى أرفعها إلى عرشه الأسمى يسود السلام على الأرض. واسم الله مبارك عند البرابرة الذين كانوا قبلا يجهلون الحق. وقد يمكن أن يكونوا قدوة لنا. لأنهم بخوفهم من صلوتنا يحافظون على الشريعة الإلهية وها نحن الذين نعترف ولانقول نحافظ على إيمان الكنيسة المقدس فيمكن القول بأننا لم نفعل إلا مايحدث البغضاء والشقاق ويؤدى إلى الخراب للجنس البشرى. فاحضروا إلينا إذاً باسرع ما يمكن وكونوا واثقين بأننا نتخذ جميع الوسائل للمحافظة غلى ما هو فى شريعة الله".

وقبل وصول هذا الخطاب كانت الحالة قد تغيرت. ففى اليوم التالى لسفر البابا أثناسيوس من صور وقبل عودة اللجنة التى عينها المجمع للتحقيق

فى مدينة الاسكندرية أصدر المجمع حكمه على أثناسيوس غيابياً ثم سافر أعضاء المجمع إلى أورشليم لحضور الاحتفال بتكريس كنيسة القبر المقدس.

حفلة تدشين القبر المقدس بأورشليم

أقام الأسقف يوسابيوس القيسارى حفلة تدشين القبر المقدس بأورشليم تحت إشرافه ورعايته واشترك معه رجال حزبه من الأريوسيين، ومن غرائب الارتباك فى التاريخ الكنسى أن يمر هذا الحادث دون أن يعلق اثناسيوس المستقيم الرأى بكلمة، ودون أن يذكره أحد من المعاصرين سوى يوسابيوس المارق الذى قام بهذا التدشين بصفته مطراناً لفلسطين (استانلى ص ٢٢٠). وعقدوا فى سنة ٣٣٥ مجمعاً بتلك المدينة أيدوا فيه الحكم على اثناسيوس لأنهم رأوا ضعف مركزهم فى هذه القضية.

استئناف أعمال مجمع صور

عاد الأساقفة الأريوسيون من أورشليم بعد الانتهاء من حفلة التدشين سالفة الذكر وقصدوا مدينة صور لاستئناف أعمالهم فى المجمع.

عودة وفد مجمع صور من الاسكندرية

وفى أثناء ذلك رأى عقب عودة الأساقفة إلى صور وصل من الإسكندرية الوفد الأريوسى الذى بعد أن قام بجمع البيانات التى ادعى قيامه بتحريها والوصول إليها كتبوا تقريراً سريا بالنتيجة.

وقام أصدقاء اثناسيوس بكتابة تقرير آخر ضد تقرير اللجنة المذكورة وأرسلوا صورة منه إلى أعضاء هذا الوفد وإلى حاكم الإسكندرية وأعضاء المجمع. فانعقد المجمع بعد ذلك ولكنه اعتمد ما تقرر فى غيبة اثناسيوس

واعترف بصحة ما قرره الوفد المجمعى، وأصدر حكمه بعزل اثناسيوس رسمياً من منصبه كما قرر قبول الميليتيين فى الكنيسة وكان ذلك سنة ٣٣٦م (تاودوريتس ك ٤ ف ١٦ وتاريخ فلورى الكنسى ك ١١ ف ٤٨).

ثم انتدب المجمع بعض أعضائه وهم من حزب أريوس للمفاوضة مع الإمبراطور فلم يعيدوا ذكر التهم السابقة بل قالوا عن اثناسيوس أنه جمع مالا طائلا وحاز شهرة عظيمة بين أهل الاسكندرية، وأن فى نيته أن يظهر سطوته بمنع سفر السفن المعدة لنقل محاصيل النيل إلى القسطنطينية، وبذلك ضربوا على الوتر الحساس للتأثير على الإمبراطور لأن غذاء سكان هذه العاصمة يتوقف على تلك المحاصيل.

وتصادف عند تقديم هذه التهمة أن السفن المصرية عاكستها الرياح فى طريقها إلى القرن الذهبى فتاخر وصولها لسوء حظ اثناسيوس فتذمر أهالى القسطنطينية على سوباتر الفيلسوف الوثنى الشهير صديق الامبراطور واتهموه بانه عطل السفن بسحره ليميت أهل تلك المدينة جوعا واضطر قسطنطين أن يسلم فى حياة هذا الفيلسوف.

الحكم على القديس أثناسيوس بالنفى

واستدعى الامبراطور قسطنطين اثناسيوس وهو فى حالة الغضب الشديد وأبلغه التهمة فأنكرها وقرر أنه فقير ولا قدرة له على تعطيل سير الأعمال فى الإمبراطورية غير أن يوساب والأساقفة الموجودين معه أكدوا أن اثناسيوس يملك أموالا كثيرة جداً وأن له نفوذاً عظيما فى الإسكندرية، ولذلك لا يتم فيها شئ إلا بإذنه. (جيبون ـ سقوط الامبراطورية الرومانية).

ولما رأى الامبراطور أن الوقت قد حان لإقرار الاتحاد الذى كثيراً ما رغب

فيه ليطيب قلبه، انتزع اثناسيوس من أتون غيظ أعدائه له بنفى شريف إلى تريفس الواقعة فى جنوب غربى فرنسا (تاريخ اثناسيوس لملر م٢ص ٢٠٣ واستانلى ص ٢٢٠ ودائرة المعارف البريطانية ج ٢ ص ٥٩٨ ولاروس القرن العشرين جزء أول ص ٤١٠).

إكرام القديس اثناسيوس في المنفى

قال المؤرخ حيبون : "إن الامبراطور لم يوافق على عزل اثناسيوس بل اكتفى بنفيه إلى تريفس وكان ذلك فى أوائل فصل الشتاء من سنة ٣٣٦م وكان سفر اثناسيوس الى منفاه شبيهاً بسفر القائد الظافر المنتصر. وكانت الكنائس الغربية تعتبر اثناسيوس بطل الإيمان فى مجمع نيقية، وأنه لم يتألم إلا لأجل ذلك الإيمان. فقابله مسيحيو جميع المدن التى مر عليها بمظاهر التبجيل والإكرام. ولدى وصوله الى تريفس حيّاه الأسقف مكسيمين. باعتباره أنه صديقه وضيفه بل زاره أيضا قنسطنس حاكم ولايات الغال الذى كان مركزه أيضاً بنفس مدينة تريفس وأدى له كل إكرام واحترام وأمر بأن تتناسب معاملته فى الإقامة مع منزلته الرفيعة، وبما يليق بكرامة رجل عظيم مثله".

ولا شك أن بابا الاسكندرية كان مشتغلا فى منفاه كما كان فى مقر وظيفته إلا أن أشغاله كانت تأليفية أكثر منها إدارية. ويحتمل أنه انتهز الفرصة وهو بمدينة تريفس ليسطر معلوماته عن القديس أنطونيوس الكبير الناسك المتوحد الشهير مؤسس الرهبنة فى العالم. وأراد بعضهم إنكار علاقة اثناسيوس بهذا الكتاب ولكن أدلة إثبات كتابته له كانت أقوى لأن الكتاب كان موجوداً على الأقل فى سنة ٤٠٠م لأن ذهبى الفم نقل منه بعض الأقوال وكذلك نقل منه القديس أوغسطينوس وهو فى الغرب وعلى بعد

شاسع من ذهبى الفم، وعلاوة على ما تقدم فإن غريغوريوس الذى كان معاصراً لإثناسيوس الرسولى أشار الى أن الكتاب جيد، وهناك علاقة بين تاليف سيرة أنطونيوس وبين نشر آرائه فى الغرب أثناء وجود اثناسيوس هناك.

وقد دبر الله بعنايته لاثناسيوس فترة هدوء فى تريفس ليمكنه من مراجعة حوادث النزاع الماضى والاستعداد لمقابلة المشاكل المقبلة، وأيضاً للتعرف برؤساء الكنيسة الغربية الذين كان اثناسيوس فى أشد الاحتياج الى استشارتهم فيما بعد.

وهكذا يفعل الله بقديسيه، وهكذا يفعل مع أبنائه فيقول لهم : "تعالوا إلى موضع خلاء واستريحوا قليلاً" مرقس ٦ : ٣١ (الطوخى ص ٦٥ إلى ٧٨).

ظهور أريوس فى الاسكندرية وترحيله منها للقسطنطينية.

وفى خلال نفى اثناسيوس عاد أريوس الى الاسكندرية ليمارس وظيفته فى الكنيسة بعد أن برأه مجمع صور الأريوسى. ولكن الشعب الأرثوذكسى لم يقبله وأغلق أبواب الكنائس فى وجهه ونشأت عن ذلك قلاقل عديدة. ولما رأى الوالى ما كان من أمر هذا الشقى، فرغبة منه فى حسم هذا النزاع ووضع حد للقلاقل أجبره على العودة الى القسطنطينية خشية حدوث ثورة عامة. فرسم الامبراطور أن يستقبل أريوس استقبال المنتصر الفائز، ووطد العزم على تنفيذ أمره، وقد كانت للامبراطور قسطنطين منزلة خاصة فى الكنيسة فإنه بالرغم من نفوذ الحزب الأرثوذكسى وكراهيتهم للاعتراف بهذا المارق أريوس لم يكن ثمة أمامهم سبيل آخر ينتهجونه غير الخضوع والإذعان (استانلى ص ٢٢٠).

أريوس في القسطنطينية

استدعى قسطنطين أريوس اليه وسأله عما كان إذا يؤمن بعقيدة الكنيسة الجامعة فأجاب الماكر بأنه متمسك بالإيمان الصحيح وسجل معتقده كتابة ولكنه استبدل صيغة قانون الإيمان بنصوص كتابية لها صيغة أرثوذكسية في ظاهرها الحرفى ويمكن تأويلها بما لا ينطبق على العقيدة المستقيمة الرأى وأقسم على صدق قوله بانه لايؤمن بالآراء التى حرمه لأجلها البابا الكسندروس بطريرك الأسكندرية فصرفه الامبراطور بقوله : "إذا كان إيمانك صحيحاً فقد صدقت فى قسمك أما إذا كان كفراً فقد حنثت فى قسمك والله يدينك".

وفى سنة ٣٣٦م عقد الأريوسيون مجمعاً فى القسطنطينية حكم بوجوب اعتبار أريوس أرثوذكسيا، وبعزل الأساقفة الذين يخالفون هذا الحكم (أبيفانيوس هرطقة ٩٧ : ١٠).

قبول أريوس فى كنيسة القسطنطينية

وبعد فحص عقيدة أريوس التى اعترف بها مكراً منه وقرار المجمع القسطنطينى بقبوله استدعى الامبراطور الكسندروس بطريرك القسطنطينة وأمرة أن يقبل أريوس فى الشركة بعد اعترافه الجديد فأجاب البطريرك : إن البابا أثناسيوس الاسكندرى قد قرأ حرم أريوس المكتوب بخط الامبراطور وخطوط أعضاء مجمع نيقية المسكونى المقدس على شعبه بالأسكندرية ونفى شيعته من البيعة، فان لم يصب أريوس هذا بضرر من اليوم إلى يوم الأحد القادم فانا أقبله واستدعيه للشركة مع الكهنة" (كتاب ١٣ تاريخ ص ٥٤ V وفوه ص ٢١ V والطوخى ص ٧٩ و ٨٠).

وخرج أريوس من القصر بعد ذلك محاطا باصدقائه مسرورا بانتصاره.

هلاك أريوس بمعجزة إلهية

ولما رأى الكسندروس بطريرك القسطنطينية أنه مضطر الى الاشتراك مع أريوس فى الصلاة اجتمع بالقديس يعقوب أسقف نصيبين فى كنيسة القديسة إيرينى فى مساء السبت وأخذا يصليان ويتضرعان الى الله أن يخرج بيعته من تلك التجربة الشديدة، رافعة لواء الغلبة والظفر، فسمع الله صلاتهما (سقراط ك ١ ف ٣٧).

ثم انفرد الكسندروس فى ليلة الأحد فى الكنيسة المجاورة للقصر وطرح نفسه على الأرض وصلى الى الله قائلا : "إذا دخل أريوس الى معبدك غدا فاعف عبدك من هذه الحياة ولا تهلك البار مع الأثيم ولكن إذا كنت تهتم بميراثك فاقبض أريوس لئلا تدخل الضلالة معه إلى كنيستك" (الطوخى ص ٨١) وصرف البابا الكسندروس مع كهنته طول الأسبوع فى التوسل وطلب الرحمة. فلما حل يوم الأحد دخل أريوس البيعة ولبس ثيابا فاخرة وتعطر وتطيب وجلس عند باب الاراديون فى طقس الكهنة وكان البطريرك الكسندروس مهموما من حضور القداس وحزيناً. ولما قرأ القارئ فصول الكتاب تحركت أحشاء أريوس عليه فمضى إلى المرحاض الكائن فى جهة بعيدة عن البيعة فنزلت جميع أمعائه من جوفه ولم يفده تصفيق رفاقه فى شوارع القسطنطينية تصفيق الفائز المنتصر.

ولما طال غيابه سأل الحاضرون عنه فلم يجدوه ففتشوا عليه طويلا حتى عثروا با مائتاً داخل المرحاض. فتوجهوا إلى البطريرك الكسندروس وأعلموه بذلك فتعجب وشكر الرب يسوع المسيح ومجده من أجل حكمه العادل

على أريوس الملتوى إذ أهلكه عاجلا من أجل يمينه الحانثه وأمانته الفاسدة. وقد تحقق الامبراطور وجميع الشعب من صحة ما قاله البابا بطرس الاسكندرى خاتم الشهداء. ثم تمم القديس الكسندروس بطريرك القسطنطينية القداس فى ذلك اليوم بفرح عظيم. وكان ذلك فى سنة ٣٣٦م.

وأرسل الكسندروس إلى اثناسيوس فى منفاه رسالة يقول فيها : "نحن نمجد الله ونعلمك أيها الأخ الحبيب ان أريوس مات ميتة شنيعة وانقطعت مقالته وتبددت شيعته". (كتاب ١٣ تاريخ ص ٧٥٤و ٥٥ R وفوه ص R٢٢).

وقد اعتقد الكثيرون من اتباع اثناسيوس بأن موت أريوس كان حكماً إلهياً على هرطقته وأيقنوا أنه كان اجابة لصلاة الكسندروس الحارة حفظا لحرمة عقيدة الكنيسة، لأن موت أريوس العجوز على هذه الصورة الفجائية نادر الحصول فى التاريخ، وبموته غير المنتظر انفجرت أزمة شديدة وانتصر المذهب القويم الذى كان يقاومه، وقال سقراط : "إنما أمات الله أريوس فى مرحاض عمومى حيث اندلقت أمعاؤه وقد اعتبر السبب فى هذه الميتة انتقاما من العدل الإلهى" (ك ١ ف ٦٨).

السعى فى عودة اثناسيوس إلى مقر كرسيه

ولما انتشر خبر موت أريوس فى القسطنطينية ـ وليس فى الاسكندرية كما ذكرته خطأ دائرة المعارف البريطانية فى الجزء الثانى ص ٣٥٩ ـ طلب أصدقاء اثناسيوس من الأمبراطور قسطنطين إعادته إلى منصبه فأجابهم قسطنطيين بأن لا يحرجوا صدره بهذه المسألة.

ثم تدخل القديس أنطونيوس فى هذا الموضوع وتوسل إلى الأمبراطور

قسطنطين لكى يعيد اثناسيوس إلى كرسيه فأجابه الأمبراطور بما يأتى :

"ماذا تريدون منى أن أفعل ضد قرار المجمع؟ قد يكون بعض الأساقفة مدفوعين بعامل البغضاء أو المحاباة. ولكن هل يعقل أن عددا كبيراً من القديسين والرعاة ينساقون وراء هذه العواطف؟ ومن البين الجلى أنهم كانوا ينظرون فى قضية رجل، عنيف فى سلوكه، شرير فى نياته، محب للفتنة".

وقد كتب الأمبراطور هذه الرسالة تحت تأثير اليوسابيين وكل ما فعله الأمبراطور بعد كل هذه التوسلات هو أنه نفى يوحنا المليتى الاسكندرى المكروه من الكنيسة الأرثوذكسية بالاسكندرية (الطوخى ص ٨١ و ٨٢ واستانلى ص ٢٢٠ و ٢٢١).

وتوالى بعد ذلك انعقاد المجامع فى أورشليم والقسطنطينية فى شهرى سبتمبر وأكتوبر، وكان أنبا مرقلس أسقف غلاطية معارضاً لهم فى قراراتهم فى المجمع الأخير.

الفصل الثامن

الامبراطور قسطنطين فى أواخر أيامه

مرض الأمبراطور قسطنطين

قضى الأمبراطور قسطنطين الكبير ليلة عيد القيامة لسنة ٣٣٧م فى كنيسة الرسل بالقسطنطينية في خشوع وتعبد غير اعتيادى استعداداً لسفره إلى بلاد فارس. ولكنه أصيب بمرض انتقل بسببه الى نيقوميديه التى دعيت بهيلانوبوليس ليعالج بمياهها المعدنية، فاشتد عليه المرض وشك رجال القصر فى هذا المرض المفاجئ ونسبوه الى حادث تسمم على ما رواه فيلوستونيوس (جزء ثان ص ٤).

عماد الامبراطور

ولما شعر الامبراطور قسطنطين ان منيته قد دنت وطد العزم نهائيا على أن يخطو الخطوة التى طالما أجل الاقدام عليها وهى دخوله فى الكنيسة المسيحية. ويبدو أن هذا الأمر عجيب اذ ان هذا الامبراطور هو الذى اختبر صحة الايمان المسيحى منذ ٢٥ سنة وافتتح اول مجمع مسكونى للكنيسة واطلق على نفسه لقب اسقف الاساقفة واشترك اشتراكا فعليا فى اعمق المباحثات اللاهوتية. وكان يعظ الناس فيطرب ويشجي ويلعب بالعقول واعلن المسيحية دينا رسميا للأمبراطورية الرومانية. وكان المسيحيون يعدونه الوحى الملهم ورسول الحكمة المسيحية.فلا يتصور عقل بشرى ان هذا الرجل لم يكن مع كل ذلك قد دخل فى الكنيسة المسيحية أى لم يكن قد تعمد، بل لم يكن عضوا فى الكنيسة حتى ولا فى زمرة الموعوظين. فطلب ان يعمد وهو على فراش الموت. ولا عبرة بما قيل فى العصور الوسطى بان

عماد هذا الامبراطور يرجع قبل هذا التاريخ بعشرة او عشرين سنة. والحقيقة انه ككثيرين من أهل بلاده بعد تغيير دينه جمع بين الايمان المسيحى والميل الى الوثنية وكان يعتقد كغيره من اركان المسيحية ان العماد كفارة لمحو جميع الخطايا السابقة (استانلى ٢٢١ و ٢٢٢) فكان من جراء ما يعتقده فى جلال هذا السر المقدس، ولرغبته فى ان يستمتع ما استطاع بالعالمين الدنيوى والدينى يؤجل عماده الى آخر لحظة اذ كان يعتقد أن سر العماد انتقال خطير من حياة عالمية مظلمة ووثنية فاجرة الى حياة نقية طاهره. ولم يثر تأخير عماد الامبراطور انتقاد ولوم مستشاريه الكنسيين.

وفى هيلانو بوليس ركع الامبراطور فى خشوع ولم يكن الركوع من عادة الشرقيين وقتئذ. وادخل فى حلقة الموعوظين بطريقة وضع الايدى. وبعد ذلك انتقل الى قصره فى نيقوميديه وهنالك دعا الاساقفة حوله وعلى رأسهم يوساب الاريوسى. ثم أعلن انه كان يأمل ان يتطهر بالعماد فى نهر الاردن على مثال مخلصنا. ولكن قضت ارادة الله ان يكون العماد هنا فعمدوه وكان قسطنطين هو اول امبراطور رومانى شهد للسيد المسيح فى الميلاد الثانى اذ قد تعمد باسم الثالوث المقدس ولو ان هذا العماد لم يكن صحيحا فى نظر القديس اثناسيوس لوقوعه من اساقفة اريوسيين إلا أنه اعتبر شرعيا على مدى الزمن فى الكنيسة كما اعتبر الامبراطور قسطنطين قديسا مسيحيا.

صفح قسطنطين عن القديس اثناسيوس

ظل قسطنطين على فراش الموت ينتظر ساعته المحتومة، وقد قام بعمل عظيم رفعه فى نظر التاريخ اذ انه استدعى اثناسيوس من منفاه بالرغم من اعتراض يوسابيوس فإنه فى آخر سويعات حياته أدى واجباً مقدسا رغم ان

التأثير الاريوسي كان كافيا لارضائه وتعزيته ونيله الاسرار على الطريقة الاريوسية. لم يكن مانعا فى تلك اللحظة الدقيقة للامبراطور من القيام فى آخر لحظة من حياته برفع لواء العدالة والاخذ بناصر اثناسيوس المضطهد زعيم حزب المعارضين وكان سرور الامبراطور بتأدية هذا الواجب عظيما. (تيودوريت جزء اول ص ٣١ و ٣٢).

ولما حال دنو الأجل السريع دون تنفيذ رغبة الامبراطور فإنه سطر فى الحال رغبته فى كتاب وصيته التى قسم فيها مملكته بين ابنائه الثلاثة قسطنس وقسطنطينوس و قسطنطين الصغير، فخص الأول الشرق باكمله وتولى قسطنطينوس على ايطاليا وافريقيا والليريكون وتربع قسطنطين الصغير على عرش فرنسا واسبانيا وبريطانيا.

ومات قسطنطين الكبير بعد ان أعطى وصيته للكاهن يوسطيوس لكى يسلمها لابنه قسطنطينوس فى يوم العنصرة الموافق ٢٢ مايو سنة ٣٣٧ ميلادية (سقراط جزء أول ص ٣٩).

ولما تولى قنسطس الثانى المملكة الغربية اشترك فى عودة اثناسيوس بعد ان نفاه الاريوسيون وقد حفل تاريخ قسطنطينوس الأول الذى تولى الجزء الاكبر من المملكة الشرقية والديار المصرية بالمنازعات اللاهوتية (لاروس القرن العشرين جزء أول ص ٤٢٨ ـ ٤٣٠).

الفصل التاسع
عودة أثناسيوس إلى مقر كرسيه

وبعد وفاة قسطنطين الكبير فى سنة ٣٣٧م عاد أثناسيوس الرسولى من القسطنطينية إلى الاسكندرية فى سنة ٣٣٨م فقابله الشعب مقابلة القواد الفاتحين باحتفال نادر عظيم، فقد كانت صدور الناس تجيش بأكثر من مجرد السرور تحفه المهابة التى بلغت درجة الرهبة والروعة نظراً لعظم الحادث وجلاله فخرج فى ذلك اليوم أهل الاسكندرية يتقاطرون من كل حدب وصوب وهم يطيرون فرحاً لما تكنه قلوبهم من وجد وهيام حتى امتلأت بصفوفهم الوهاد ومادت بكثرتهم الآكام. وساد الاحتفال الترتيب والنظام. فقد كان أهل كل حرفة ومهنة فى مكان مختار، كما اتخذ الرجال جهة والنساء اتخذن جهة أخرى طبقاً للعادة الشرقية، بينما انتحى الأحداث ناحية خاصة بهم. وكانت أمواج الجماهير تتدفق بشدة وكان النيل إذ ذاك فى قمة فيضانه وهو ينتشر الخصب حيثما جرى وأخذ يفيض على الاسكندرية نحو أول أرياض المدينة أى فى عكس اتجاهه المعتاد.

وكانت المواصلات وقتئذ على ظهور الحمير. فجال بخاطر أغريغوريوس النزينزى وهو يصف دخول اثناسيوس العظيم إلى الاسكندرية مشهد دخول السيد المسيح منتصراً إلى أورشليم. وتطرق إلى اعتبار الحمير رمزاً إلى الوثنيين من السكان الذين كان أثناسيوس قد حلهم من عقال الجهل، وأشار إلى أغصان الأشجار التى كان الناس يلوحون بها ويهزونها عالياً طرباً وبشراً وإلى الأبسطة على مختلف ألوانها الزاهية وأنسجتها الاسكندرانية الفاخرة الغالية وقد بسطت تحت قدميه وإلى أصوات التصفيق غير المنقطعة ترسلها آلاف الأيدى وقد حركتها عوامل السرور وإلى الهواء وقد تشبع

بالأذهان والأعطار ففاح فيه مسكها وتعطرت بزكى عبيرها الأرجاء. وناهيك بمظهر المدينة ليلا فى ذلك اليوم وقد اكتسحت الأضواء المتوهجة والأنوار المتألقة جيوش الظلام وأقام الناس الحفلات للتعبير عن شدة فرحهم فى المراسح العامة والمساكن الخاصة. ثم اندفع الناس فى تيار جارف نحو العبادة ومظاهر التدين فتسابقت النساء إلى الرهبنة والرجال إلى التعبد وتضرع الصغار إلى آبائهم والآباء إلى أولادهم. كل يحض ويدعو إلى التضحية وإلى حياة الزهد والرهبنة (غريغوريوس النزينزى ص ٢٨ واستانلى ٢٣٥).

وقد اصطبغت هذه الحفلات بطابع المسيحية فأطعم المحتفلون الجياع واحتضنوا اليتامى وساعدوا المساكين وأصبح كل بيت بحرارة تدين أهله كنيسة صغيرة (أثناسيوس تاريخ الأريوسية فقرة ٢٥ وأستانلى ص ٢٣٥).

أثناسيوس قبطى صميم

لا جدال فى أن البابا أثناسيوس مصرى لحماً ودما وأنه أتقن اليونانية بمدرسة الاسكندرية كما تقدم ذكره وقد تتلمذ للقديس أنطونيوس أب الرهبان فاقتبس منه كثيراً من فضائل النساك ومعنى ذلك أنه كان يتقن لغته الأساسية القبطية لأن أنبا أنطونيوس لا يعرف لغة غيرها. وقد بعث أثناسيوس رسالة وهو فى روميه إلى رهبان مصر بلغته الأصلية ولغتهم الوحيدة وهى القبطية، وقال بطرس لميرون : "إن أثناسيوس لما كان يكتب باللغة اليونانية أحصى بين أبناء الكنيسة اليونانية مع كونه قبطيا صميما" (م ٤ف ٢ص ١٧٥).

تعلق الأمة بالقديس أثناسيوس

كان القديس أثناسيوس يمثل الشعب المصرى الأرثوذكسى تمثيلا تاما

وكان الشعب في الوقت ذاته شديد التمسك بمذهبه وآرائه تمسكاً زاده كر الأعوام وثوقاً ونماء. وكان من جراء هذا الارتباط الوثيق إن أصبحت سلطة الحكومة الأمبراطورية بالقسطنطينية وأنصارها بالإسكندرية مهددة يتحداها أبناء الكنيسة القبطية الوطنية (نيل جزء أول ص ٣٦ واستانلى ص ٢٣٢).

وكانت الرابطة بين اثناسيوس وأمته المصرية رابطة دينية كما كانت فى الوقت ذاته وطنية، الأمر الذى جعل خصومه يعدونه عدواً مرهوباً. وفى الواقع ان ولاء أبناء الكنيسة لأثناسيوس ومحبتهم له وكتمانهم لسره جعله فى حرز مكين لا تماثله مكانة ملك عظيم (استانلى ص ٢٣٤).

قيام الأريوسيين على أثناسيوس بعد عودته

عاد اثناسيوس إلى الإسكندرية من أرض المنفى سنة ٣٣٨م مشمولا بأنعامات الأمبراطور مغموراً بإحساناته وقد وقع نبأ عودته وقعاً سيئاً فى نفوس الاريوسيين فعقدوا عليه مجمعا فى انطاكية سنة ٣٤٠م حكموا فيه بعزل اثناسيوس البابا الاسكندرى واقاموا مكانه رجلا من حزبهم يدعى بستوس، كان قد حرمه البابا اثناسيوس ثم بعثوا بقرارات هذا المجمع إلى يوليوس أسقف روميه ليكسبوه لجانبهم. ولما كان يوليوس غير ملم بحوادث الشرق ولا بحقيقة أمر الاريوسيين فقد أشار عليه أساقفته بألا يتدخل فى الأمر قبل ان يستوثق من صحة الأخبار الواردة اليه. وعلى ذلك كتب لاثناسيوس رسالة تتضمن التهم الموجهة ضده. فعقد البابا اثناسيوس مجمعا فى الاسكندرية سنة ٣٤٠م احتج فيه على أعمال الاريوسيين المخالفة للقوانين الكنيسة ثم حرر رسالة دورية بعث بها إلى جميع أساقفة المسكونة مظهراً فيها براءته من كل التهم المعزوة اليه، طاعناً فى قانونية المجامع الاريوسية ومقررا بأنه ليس لها أن تقاضى أسقف الإسكندرية الذى لا يقاضيه إلا

مجمع مسكونى يمثل الكنيسة بأسرها".

ولما وقف الاريوسيون على فحوى تلك الرسالة خشوا تأثيرها فى القلوب فعقدوا مجمعا فى انطاكية سنة ٣٤١م أيد فيه الحكم الأول وعرضوا أسقفية الإسكندرية على اوسابيوس الحمصى فرفضها لعلمه بمكانة اثناسيوس في قلوب رعيته (سقراط ك ٢ ف ٩ ومختصر تاريخ الأمة القبطية ص ٤٤٩ و ٤٥٠).

تقوّى الاريوسيين بالأمبراطور قسطنطيوس

لما تولى قسطنطيوس الدولة الرومانية الشرقية انحاز إلى الاريوسيين وتمكن بذلك الأسقف يوسابيوس النيقوميدى الداهية الماكر من بلاط هذا الأمبراطور واستعمل نفوذه لتقويض بناء المجمع النيقى. وانقسمت الاريوسية إلى حزبين : حزب الاريوسيين المتطرفين وحزب انصاف الاريوسيين. وانشطر هذا الأخير إلى شطرين : أحدهما يرأسه يوسابيوس الذى قبل دستور نيقية مبدلا جملة "المساوى للآب في الجوهر" بلفظة "الشبيه بالآب" وعرف هذا الحزب بالايمن. اما الشطر الثانى فقد رفض التعبيرين وعرف بالحزب الأيسر. على ان هذين الحزبين أتفقا معاً على مناهضة الأرثوذكسية ومحاربة اثناسيوس زعيم الارثوذكسيين.

واشتد نفوذ الاريوسية في عهد هذا الامبراطور وقويت كلمتها ونكبت الكنيسة بانقسامات شنيعة أستمرت ثلاثين سنة. وقد مهدت هذه المصائب للانتكاس الوثنى اليوليانى (مختصر تاريخ الكنيسة لمار اغناطيوس بطريرك انطاكية ص ٤٨١ و ٤٨٢).

اما قسطنطين الثانى وقنسطنس أخوه امبراطور الغرب فقد كانا من جانب النيقيين الارثوذكسيين وحاميين لهم.

الفصل العاشر

النفى الثانى لأثناسيوس

تعيين غريغوريوس الأريوسى

تمسك اليوسابيون أعداء أثناسيوس بحكم مجمع صور القاضى بعزل أثناسيوس واعتبروا الكرسى الإسكندرى خالياً من أسقفه وتوسطوا لدى الأمبراطور قسطنطينوس الذى ضموه إلى صفوفهم فى أمر تعيين أغريغوريوس الأريوسى أسقفاً على الكرسى الإسكندرى عوضاً عنه فاعتمد تعيينه وأرسله إلى الإسكندرية تصحبه قوة من الجيش عدتها خمسمائة فارس وأرسل معه كتباً إلى كافة المدن مكرراً فيها قول أريوس: "إن ابن الله مخلوق" فلم يقبلها أحد فى أرض مصر الذين صاروا يتقربون للأسرار الإلهية على يد القسوس الذين رسمهم أثناسيوس الرسولى دون سواهم حفظاً لأمانتهم المستقيمة (كتاب ١٣ تاريخ ص ٥٥ V وفوه ص ٢٢ V ولاروس القرن العشرين جـ ١ ص ٤١٠ ودائرة المعارف البريطانية جزء ثان ص ٥٩٨)

سطو غريغوريوس على كنيسة الاسكندرية

ولما كان غريغوريوس أريوسيا عاتياً عنيداً اتفق مع الوالى فيلوغريوس على دخول الاسكندرية والاستيلاء على كنائسها بقوة الجند الذين كانوا تحت أمرته. وقد راعت جسارة الأريوسيين الشعب الاسكندرى غير أنه أصر على المقاومة. فانضم الجند إلى الأريوسيين واتفق معهم الوثنيون وهجموا

جميعهم على الكنائس فى جمعة الصلبوت حيث هتكوا حرمة العذارى الطاهرات وقتلوا الأطفال والشيوخ وذبحوا المصلين ذبح الأغنام وهكذا طاحت الأرواح البريئة فى تلك المجزرة الأريوسية (سقراط ك ٢ ف ٨ وسوذومين ك ٣ ف ٥ ومختصر تاريخ الأمة القبطية ص ٤٥١)

التجاء أثناسيوس إلى مدينة رومية

ولا غرابة فى أن ينجو القديس أثناسيوس من هذا الإضطهاد لأن نعمة الله قد أنقذته من يد الظالمين فكتب رسالة دورية بعث بها إلى جميع أساقفة المسكونة وقال لهم فيها : "إنى أستغيث بكم كما استغاث ذلك الرجل الاسرائيلى الذى عندما ماتت امرأته بعد أن اغتصبها منه أعداؤه قسم جثتها إلى إثنى عشر قسما. بعث بكل قسم منها إلى سبط من أسباط يهوذا الاثنى عشر ليتحدوا جميعاً ويأخذوا بثأر تلك الزوجة التى تمثل الأسباط كلها" (تاريخ الأريوسيين لأثناسيوس ص ١١٦ - ١١٨)

أما الأريوسيون فقد أوفدوا القس مكاريوس والشماسين موثيروس وحزقيوس إلى يوليوس أسقف رومية ليعلنوه بحكمهم على أثناسيوس وليلحوا عليه بقطع كل علاقة معه، غير أن هذا الوفد صادف فشلا تاما وتعنيفاً أليما مما اضطر القس مكاريوس أن يهرب ليلا دون الشماسين اللذين طلبا من يوليوس أن يعقد مجمعاً مكانياً للنظر فى القضية التى أتيا بشأنها. فكتب يوليوس إلى الحبر الاسكندرى يوقفه على طلب الأريوسيين ويلتمس منه تعيين المكان الذى يستنسب التئام المجمع فيه. فلم ير أثناسيوس مكاناً انسب من رومة وذلك لما كان يعتقده من صفاء ارثوذكسية أسقفها يوليوس

(سقراط ك ٢ ف ١٥ وسوذومين ك ٢ ف ٨)

فترك البابا أثناسيوس الاسكندرية فى ظروف حرجة لتسلط الاريوسيين عليها بقوة الحكومة وقصد مدينة رومية فى سنة ٣٤٠م يرافقه الراهبان النقيان امونيوس وإيسوذوروس وبعض الأساقفة. وقوبل بكل ترحيب في بلاد الأمبراطور قنسطنس الثانى فى إيلليرا الواقعة في شرق بحر الأدرياتيك. وعند وصوله رومية مع حاشيته أحسن استقباله يوليوس أسقفها وأحاطه بكل حفاوة وإجلال. ثم أوفد يوليوس إلى الأريوسيين القسين البيديوس وبوليكربوس ليخبراهم بوصول أثناسيوس ويدعواهم إلى حضور المجمع الذى جدوا السعى فى طلب عقده. فخشى الخونة افتضاح أمرهم إن هم ناظروا أثناسيوس فى مجمع لا نفوذ للأغراض فيه.

مجمع انطاكية الأريوسى فى سنة ٣٤٠م

وبعد أن حجز الاريوسيون مندوبى يوليوس أسقف رومية مدة شهرين عقدوا فى بحرهما مجمعا فى انطاكية حيث حكموا برفض صورة الايمان التى سنها المجمع المسكونى المقدس المجتمع فى نيقية ثم وضعوا بدل تلك الصورة أربع صور كانت أساسا للشيعة النصف الاريوسية كما تقدم ذكره فيما سبق شرحه فى صدر الفصل الأسبق. وتلك الشيعة هى التى تتفق مع الاريوسيين فى القول "بعدم مساواة الابن لأبيه فى الجوهر" وتخالفهم فى القول "بازلية وجود الابن فى حضن الآب" (سقراط ك ٢ ف ١٠ وسوذومين ك ٣ ف ٥).

وبعد أن وضع الاريوسيون هذه الصور الأربعة أرسلوها إلى يوليوس على يد مندوبيه وارفقوا بها رسالة يعنفونه فيها لقبوله اثناسيوس فى شركته ويحتجون عليه بقولهم: "إن الدعوة التى وردت الينا لحضور مجمع رومية لم تكن دعوة مجمعية بل فردية ولذا فاننا لم نعتد بها" فكتب اليهم يوليوس يعرفهم بأنه لم يكتب اليهم ما كتب بصفته الفردية بل بصفته ممثلا لمجموع أكليروس ابرشيته ثم قال: "إن القوانين الكنسية لا تخوّل حق الحكم على أسقف كرسى رسولى مثل أثناسيوس الا لمجمع أساقفة كنيسة الاسكندرية أو لمجمع مسكونى وانه فى الحالة الثانية يجب إخطار جميع الأساقفة أصحاب الكنائس الرسولية" (احتجاج اثناسيوس الثانى وسوذومين ك ٣ ف ١٠)

ولما رفض اليوسابيون الحضور إلى مجمع رومية المنعقد فى سنة ٣٤٠م ولم يلبوا دعوة يوليوس أسقف المدينة المتقدم ذكرها اجتمع المجمع وقام بفحص قضية اثناسيوس وبرأه كما برأ مرقلس اسقف أنكيره بغلاطيه وكتب يوليوس بذلك إلى الشرقيين، وبهذه النتيجة العادلة القانونية خزلت مؤامرة اليوسابيين الذين رغم كل ذلك لم يفشلوا فى الإستمرار فى مؤامرتهم الدنيئة.

وهكذا ظل البابا أثناسيوس الرسولى فى روميه مدة ثلاث سنوات أتم فى خلالها ترجمة حياة القديس انطونيوس التى كان قد وضعها فى أيام النفى الأولى فى سنة ٣٣٦م كما قام بنشر الحياة النسكية فى جميع أنحاء ابرشية روميه حتى اعتنقها الكثيرون من سراة الرومان (سقراط ك ع ف ٢٣).

انعقاد مجمع ثاني أريوسى فى انطاكيه

وفى سنة ٣٤١م اجتمع فى انطاكية ٩٧ أسقفا شرقيا لتكريس كنيستها المذهبة وتدشينها وكان بينهم عصبة من أنصاف الاريوسيين أصحاب الذكاء والدهاء والنشاط أمثال يوساب النيقوميدى فسنوا ٢٥ قانوناً تهذيبياً خليقه بالاعجاب ماعدا قانونان منها قصدا بهما مناوأة اثناسيوس الرسولى وألغوا ثلاثة دساتير للايمان عقبها دستور رابع خلت كلها من جملة "المساوى فى الجوهر" وبعد مدة مات يوسابيوس الطموح المشاغب الذى تمكن بدهائه أن ينال الحظوة لدى الامبراطور وصداقة الهراطقة والاتصال بيوليوس

اجتماع الأساقفة فى مدينة ميلانو

ولما اشتد النزاع بين الأريوسيين والأرثوذكسيين المستقيمى الإيمان وثارت الثورة فى الكنيسة الجامعة الرسولية ولم يكن اخمادها رغم القرار العادل الذى أصدره مجمع روميه، الأمر الذى انبنى عليه قلق بال الامبراطور قنسطنس قيصر الغرب.

وكان بعد انتهاء المجمع الأنطاكى المنعقد فى سنة ٣٤١م بمعرفة الأريوسيين أن أرسل الأساقفة الشرقيون المجتمعون فيه الى الامبراطور قنسطنس وفدا يحمل دستور إيمان انطاكية الجديد. فدعا الامبراطور القديس اثناسيوس واستشاره فى أن يعقد مجمعا عاما فوافق هو ويوليوس على عقده واجتمع الأساقفة فى مدينة ميلانو فى سنة ٣٤٣م ليفصلوا بصفة نهائية فى هذا الأمر وقرروا باجماع الكلمة وجوب عقد هذا المجمع فى مدينة سر ديقيا التى هى صوفيا الآن.

مجمع سرديقيا سنة ٣٤٣م

وقد انعقد المجمع فى أواجر سنة ٣٤٣م فى قصر المدينة وكان مؤلفا من مائة وسبعين أسقفا يمثلون خمسة وعشرين ولاية: منهم مائة أسقف من الأرثوذكسيين ذوى الإيمان القويم، وسبعين أسقفا من الشرقيين الأريوسيين يمثلون الحزب اليوسابى. وكان من بينهم أقاق القيسرى ومرقس الرستنى وباسيلى الأنكيرى ومقدونيوس القسطنطينى، وقد رأس المجمع الشيخ الوقور أوسيوس اسقف قرطبة وناب عن يولوس اسقف رومية قسيسان من كبار كهنة كنيسة روميه.

وقد حضر من مصر مع البابا اثناسيوس الاساقفة العشرة وهم: "اسكيراس كاهن مريوط وكبرنيوس أسقف مريوط وايدايمون أسقف تنيس وكالينيكوس أسقف بلوزيا وايزيون أسقف اتريب واسحق اسقف لتوبوليس (اوسيم) واغابيوس اسقف فتانيس ولوكيوس اسقف انصنا وايدايمون الاسقف ولوكيوس اسقف بابتينو" (كتاب الاسقفيات القبطية ص ٦و ٧ والآثار الجغرافية لافريقيا ومصر ص ٧٢٢٤) وكان هؤلاء الاساقفة من خصوم اثناسيوس ولما اجتمع المجمع وفتحت جلساته وحضر الاعضاء المشتركون فيه طلب الغربيون ان يحضر اثناسيوس بشخصه فى المجمع ليدافع عن نفسه ولكن اليوسابيين خافوا من قوة حجته وحسن دفاعه وبرآته من كل ما يتهمونه به فاعترضوا على هذا الطلب بكل قوتهم وطلبوا اخراج الاساقفة المحكوم عليهم فى مجامع سابقة من المجمع الحالى. فافرغ الاسقف اوسيوس جهده فى اقناعهم بالعدول عن طلبهم ولم يفلح لتمسكهم برأيهم لضعف

مركزهم. ثم انسحب الشرقيون اليوسابيون جميعهم معللين انسحابهم بضرورة توجههم الى الامبراطور قسطنطينوس فى القسطنطينية لتهنئته بفوزه على الفرس وبارحوا سرديقيا ليلا هربا من المجمع وكانت النتيجة أن السعى فى فشل مجمع سرديقيا قبل أن يبدأ فى عمله لم يتحقق فقد واصل الارثوذكسيون عملهم وانضم اليهم مكاريوس واستيريوس اسقف بطرا وباشر واعقد الجلسات وحدهم وتليت الشكاوى المرفوعة ضد أثناسيوس ومرقلس فبحثها المجمع وطعن فيها واعلن براءتها وبراءة اسيليباس اسقف غزه وحرم المجمع اقاق القيسرى ورؤساء الحزب اليوسابى ووضع قوانين منها بصفة خاصة حق استئناف الاساقفة للأحكام الصادرة ضدهم وتثبيت القانون الايمانى النيقى وحرم الاساقفة الاريوسيين. وفى نفس هذا الوقت اجتمعت الفرقة اليوسابية المارقة فى مدينة فيليوبولى بتراقيه. وبعدها ارسل آباء مجمع ساريقيا رسائلهم الثلاث الى يوليوس اسقف روميه وكنائس النصرانية ولاسيما الاسكندرية. وقد أردف اليوسابيون حكمهم بحرم البابا أثناسيوس الرسولى ومرقلس وارسيوس ويوليوس وكل من استأنف دعواه الى روميه وقد اردفوا ذلك الحكم برسالة مجمعية قالوا فيها: "إن الغربيين يحاولون ان يدخلوا على الكنيسة قانونا جديدا ليحاكموا الاساقفة الشرقيين بمقتضاه" (تاريخ الاريوسيين لاثناسيوس ف ١٨ – ٢٠)

مؤامرة اليوسابيين ضد مندوبى مجمع سرديقيا

وبعد أن انفض مجمع سرديقيا انتدب أعضاؤه أفراتيوس أسقف كولونيا بإيطاليا وفنسانت أسقف كاپوا بإيطاليا أيضا ليوقفا القيصر قنسطنس أمبراطور

الغرب على ما تقرر. فما كان من الاريوسيين إلا أن بالغوا فى اهانة هذين المندوبين وسعوا فى إساءة سمعتهما بأن دسوا أمرأة زانية فى مخدع افراتيوس ليتهموا بالزنى، غير أن مكيدتهم قد انفضحت بإقرار المرأة نفسها...

ولما عاد الأساقفة المارقون بعد مجمع فيليبوبولى قابلهم الناس أسوأ مقابلة واشبعوهم لوما وتعنيفا لانفصالهم عن اخوانهم الارثوذكسيين. فاستعان هؤلاء الأساقفة الأشقياء المارقون بالأمبراطور قسطنطيوس فنفى لوقيوس اسقف أورنا مكبلا بالأغلال إلى أقصى حدود ليبيا وتوفى فى منفاه، وكذلك نفى مكاريوس واستيريوس وقتل عشرة اساقفة لأنهم أهانوه.

عدول الأمبراطور قسطنطيوس عن مسلكه

ولما رأى الأمبراطور قسطنطيوس ما انتابه من دسائس الأريوسيين لم يستمر فى قسوته واضطهاده للأرثوذكسيين وخفف وطأته وغيّر موقفه بتأثير شقيقه أمبراطور الغرب فألغى جميع الأوامر التى كان قد أصدرها ضد الأساقفة الارثوذكسيين وعقد مجمعا فى انطاكية حوالى عيد فصح سنة ٣٤٤م حكم فيه على أسقفها الاريوسى لتآمره على تشويه سمعة أفرانيوس وفنسانت الاسقفين الغربيين المنتدبين من مجمع سرديقيا لمقابلة الامبراطور وقام بوضع قانون جديد مسهب أقرب مما سبقه إلى الارثوذكسية.

عودة أثناسيوس والاكليروس الاسكندرى

وبعد ذلك أمر الامبراطور قسطنطيوس بإعادة رجال الاكليروس الاسكندرى إلى وطنهم. ومن ثم عزم أثناسيوس على أن يبرح سرديقيا ليعود

إلى وطنه حيث سمح الامبراطور بعودته إلى مقرِ كرسيه لأن غريغوريوس الكبادوكى مغتصب السدة المرقسية كان قد قتل فى ثورة شنها عليه الاسكندريون فى سنة ٣٤٥م. وقد أراد قسطنس أن يواجه البابا الاسكندرى فاستدعاه إليه برسالة أودعها منتهى الرقة وقد لبى اثناسيوس الدعوة فقصد روميه حيث ودع اسقفها يوليوس الذى كتب إلى الشعب المصرى يبشرهم بعودة أسقفهم إليهم ويقول لهم: "إنى أحمد الله الذى حبانى نعمة الاجتماع بمثل ذلك الرجل العظيم" (سقراط ك ٢ ف ٢٣)

وقد طلب الامبراطور قسطنطيوس عندما مثل بين يديه أن يسلم الأريوسيين إحدى كنائس الكرسى الاسكندرى فأجاب طلب الامبراطور مشترطاً أن يتنازل الاريوسيون الانطاكيون عن كنيسة من كنائسهم إلى الارثوذكسيين. ولما علم الانطاكيون بهذا الاتفاق أبوا إلا الاصرار على خلع اثناسيوس فأعرض القيصر عنهم وأطلق سراح القديس اثناسيوس الذى عاد إلى كرسيه فى بلاده مكرما فدخل إلى الاسكندرية بعد نفى دام ست سنوات فى ٢١ اكتوبر سنة ٣٤٦م وبعودته أعاد إليها السكينة والغبطة (غريوريغوس النزينزى فى العظة ٢١)

الفصل الحادى عشر

اعمال اثناسيوس الرسولى بعد عودته

احتفال الشعب بقدومه

دخل البابا الاسكندرية فقام الشعب كله باستقباله استقبالا حماسياً رائعاً انشرحت له الصدور وقد وصف اغريغوريوس هذا الاحتفال فقال:

"إن الناس كانوا يتدفقون إلى خارج المدينة كأمواج البحر ليستقبلوه قبل وصوله إليها وكانوا يتسلقون المرتفعات ليفوزوا بنظرة منه. وعطروا الجو بالبخور وزينوا المدينة إكراما له واحتفاء بقدومه. وقد استهل اثناسيوس منشوره الرعوى الذى أصدره فى سنة ٣٤٧م بتقديم الشكر لله تعالى لعودته من الأراضى النائية وختمه بأخبار الاساقفة الذين رسمهم وعيّن ديديموس ناظراً لمدرسة الاسكندرية اللاهوتية، وأعقب ذلك فترة سلام دامت ثلاثة أعوام وواصل اثناسيوس جهاده المحمود فى الدفاع عن الارثوذكسية بالمجمع الذى عقده فوراً فى الاسكندرية وبالتآليف التى دبجتها يراعه" (مار أغناطيوس ص ٤٨٣ ـ ٤٨٧ فصل ٢٣ ولاروس جزء أول ص ٤١٠ ودائرة المعارف البريطانية جزء ثان ص ٥٩٨)

بوادر أعمال اثناسيوس بعد عودته

وما استرد أثناسيوس عرشه حتى أخذ فى سحق البدعة الأريوسية وتثبيت العقيدة الأرثوذكسية بوسائل هى آية فى البلاغة.

ثورة جرماني يدعى مانيانس على الإمبراطورية

وسوس الشيطان عدو الخير فى صدر رجل جرمانى يدعى مانيانس فطمع فى الاستيلاء على القسم الغربى من الأمبراطورية. ومن ثم شق عصا الطاعة للأمبراطور قنسطنس وقتله فى فتنة أثارها سنة ٣٥٠م. ولم تقف به مطامعه عند هذا الحد إذ ما لبث ان فكر فى الاستيلاء على القسم الشرقى فأرسل إلى مصر رجالا يبثون فيها روح التمرد على الأمبراطور قسطنطيوس غير ان أثناسيوس شعر بهم فدعا أبناءه إلى الكنيسة وأوصاهم بان يخلصوا للأمبراطور واضعين نصب أعينهم الآية الرسولية القائلة: "إن من يقاوم سلطان الملك فانما يقاوم سلطان الله" وهكذا حبطت فى مصر مساعى مانيانس الذى لم ير بدا من مقاتلة قسطنطيوس قتالا دارت فيه الدائرة على هذا المعتدى حيث قتل سنة ٣٥٣ ميلادية.

بعثة تبشيرية إلى الهند

حدث فى أيام القديس أثناسيوس الرسولى بابا الاسكندرية أن الهند الكبرى قبلت بشارة الانجيل المقدس واعتنقت المسيحية على يد رجل من أتقياء الهنود يدعى أفروديت واختاروا هذا الرجل الورع لأن يكون أسقفا عليهم فبعثوا وفدا إلى الاسكندرية وعرض الأمر على البابا أثناسيوس ومعهم الأسقف فكرّسه ورسمه لهم وأوفده إليهم (النقيوسى ص ٤٢٩)

احتفاء الرهبان بعودة القديس أثناسيوس

سمع الأنبا باخوميوس بعودة القديس أثناسيوس الرسولى فانتدب وفدا برئاسة الأب زكاوس للسفر إلى الاسكندرية لتهنئة البابا وقضاء حاجيات

الدير أثناء وجوده بها فطلب الأب زكاوس منه أن يوفد معه بعض الإخوة لمعونته فى مهمته للمحافظة على شحونات المركب وأن يسمح للاب تادرس تلميذه أن يرافقهم أيضا ليتعزى بهذه الرحلة مع الاخوة لأن عينيه قد مرضتا من كثرة البكاء، فاجاب الأنبا باخوميوس طلبه وامتثل تادرس لأمر أبيه وذهب مع زكاوس عن طيب خاطر وكان مثال الطاعة والامتثال. وكان إذا جلس مع الاخوة لطعام يخلون له المكان الأول ليبارك. فلم يكن يفعل شيئاً إلا بعد أن يأكلوا كلهم ثم يأكل بعدهم. وكان هذا القديس يتلو كلام الله فى كل وقت وباستمرار. وإذا مارسوا على البر كان هو أول من يقفز من المركب ويربطها. وإذا ما أرسلوه مع آخر إلى إحدى القرى لقضاء حاجتهم كان يقدم رفيقه فى الكلام والسلام، وكان الاخوة يطيعونه ليرضوا اتضاع قلبه ووداعة خلقه، وكان القديس تادرس علاوة على تواضعه وطيب أخلاقه مداوماً على التقشف فى ذلك الزمان وفى كل ليلة عندما كانوا يرسون بالمركب كان يتوارى عن الأخوة ليؤدى صلاته التى كانت تمتد فى بعض الاحيان إلى الصباح الباكر فى الوقت الذى يتبارك فيه الاخوة.

وقد أعلن الأب باخوميوس للإخوة فضائل تادرس بقوله: "لا تظنوا أن تادرس قصّر فى واجبه لأنه عزل من طقسه. كلا بل إنى أقول لكم أن جميع ما وهبه الله له من جزاء عن مناسكه وتعبه من وقت مجيئه إلى الدير للآن قد ضاعفه له الله سبع مرات فى هذه المدة اليسيرة والأيام القليلة، فقد سما نجاحه وارتفع فلاحه" (تاريخ باخوميوس نسخة البراموس ص ٩٤ V إلى ٩٥ VR).

ولما وصل الوفد إلى الاسكندرية توجهوا فى الحال إلى القديس أثناسيوس وقدموا لقداسته الرسالة التى تسلموها من أبيهم باخوميوس، ولما رأى قداسة البابا الآب تادرس تعجب من نعمة الله الحالة عليه ومن اتضاعه الفائق. ثم كتب رسالة إلى الأب باخوميوس يشكره فيها على قدوم بعثته الفاضلة ويعظه فيها بالنصائح والتعاليم الأبوية الطاهرة ويخبره بأنه كان يتلقى أخباره السارة ويطلع على أعماله المجيدة لرفع شأن الرهبنة بصفة مستمرة (تاريخ باخوميوس ٩٤ V - ٩٥ R).

وبعد قضاء حاجيات الدير تزود الوفد بالبركات وصالح الأدعية من البابا القديس ورجع الاب زكاوس والاب تادرس من الاسكندرية فى المركب الصغير لأنه كان للكنونيين (أى أديرة رهبان الشركة) سفن صغيرة مخصصة لنقل الثياب الخاصة بالكساء والأغطية وماشابهها، وسفن كبيرة أخرى مخصصة لحمل الحصر ومشغولات الرهبان وبيعها فى المدينة ونقل كل ما يحتاجونه من الأمور الضرورية. ولما وصلوا إلى الدير بادروا بالسلام على الاخوة ثم استقبل الأب الطوبانى باخوميوس الراهبين زكاوس وتادرس وسألهما عن حالة الكنيسة وسلامتها لأنه كان حزيناً من أجلها لأن الأريوسيين وعلى رأسهم الكافر أغريغوريوس الأريوسى وثبوا وقتئذ على الكنيسة عنوة كاللصوص الأردياء واستولوا عليها بالقوة الغاشمة وكان الأب باخوميوس أثناء ذلك يداوم على الصلاة متوسلا للسيد يسوع المسيح أن يحفظ الكنيسة فى سلام، وكان قلبه يتوجع من أجل شعب الله المظلوم ظلما بيناً رغم استقامته وتمسكه بالإيمان القويم لأنهم أبعدوا عن هذا الشعب المؤمن راعيهم الصالح الأب أثناسيوس الرجل القديس المتشح بالمسيح

ورئيسهم الديني وكبير أساقفتهم. وقد قال له الراهبان: "إن الأمور مضطربة وأحوال رئيس الأساقفة والبيعة مختلة" فأجابهما القديس قائلا: "إن ثقتي بالله الذى سمح بأن تصير هذه المحن لفحص المؤمنين وامتحانهم عظيمة، وسبيلنا أن نصبر على كل تجربة توافينا بحماس نفسي وبشجاعة قلب لأن المفاجآت أياً كانت لا تضرنا بل تنفعنا جداً إذا قبلناها بشكر. لأنها تغسل الذنوب وتنظفنا من أدرانها. أما هؤلاء الخارجون عنا والناكثون بعهدنا فإنهم كانوا آباء وإخوة لنا وكانوا متحدين معنا على الرأى القويم. فإن كان العدو قد زرع الآن فى قلوبهم زواناً وأثار على قلوع سفينتهم رياحاً هوجاء كريهة واستعملهم أداة لخبثه ضدنا للاضرار بنا، وأبعدهم عن الحق كثيراً فعدلوا عن الإيمان المستقيم وجنحوا عن الرأى القويم وخرجوا عن الحصن الحريز السليم. لكن عفو الله وغزير صلاحه يشملنا وإياهم متى طلبناه ورجعنا إليه بقلوبنا".

"أما البابا أثناسيوس الفائق القداسة الذى حاربه العدو أمداً طويلا فهو سعيد حقاً ويقيناً ولن يظفر به أعداؤه لأن الله حافظه وناصر إيمانه. وسيتم فيه المكتوب القائل "صوت يقوم عليك ومعونة الرب توافيك فتقهر شائنيك وتسود على من يعاديك" وقد تم هذا وعاد البابا أثناسيوس إلى كرسيه بمجد وكرامة ووقار (تاريخ باخوميوس ص ٩٦، ٩٧ وسيرة باخوميوس لاميلينو ص ٥٨٩، ٥٩١)

الفصل الثانى عشر

اختفاء اثناسيوس عن كرسيه

استئناف نشاط الاريوسيين

وما استتب الأمن فى الامبراطورية حتى أقام الاريوسيون النزاع فبعد أن قضى القديس أثناسيوس مدة عشرة سنوات بعد عودته من النفى راعياً شعبه بامانة حافظاً له من الذئاب الأريوسيين استأنف هؤلاء الذئاب عملهم ووشوا باثناسيوس إلى الامبراطور الذى صدّق وشاياتهم وأخذ فى اضطهاد الكنيسة عموماً والحبر الاسكندرى خصوصاً (سوذومين ك ٤ ف ١).

وعلى ذلك انعقد مجمع فى مدينة أرلس بفرنسا سنة ٣٥٣م وتقرر فيه حرم اثناسيوس البار بعد خلعه عن اسقفيته وقد وقع على هذا القرار جميع الأساقفة الذين تشكل منهم المجمع ماعدا بولين اسقف تريف الذى أبى أن يحكم على اثناسيوس فنفى إلى فريجيه بآسيا الصغرى حيث مات وكان فى مقدمة الموقعين على هذا القرار نايبا أسقف روميه فنسانت أسقف كابو ومارسيل أسقف كمبانيا بإيطاليا اللذان احدثا بتوقيعهما على هذا القرار ضجة كبيرة فى الغرب هدأها ليباريوس اسقف روميه يومئذ برسالة بعث بها إلى أوسيوس أسقف قربطه قال فيها: "إنى لو خيّرت بين الموت واختصام اثناسيوس لفضلت الأول على الثانى". (هيلاديوس شذره (٥) ص ١٣٣٠ وشذرة (٦) ص ١٣٣٤ وسليوس ساويرس ك ٢ ف ٥٥ وبارونيوس فى جدوله فى سنة ٣٥٣ ف ٢٠)

ثم أرسل ليباريوس وفداً إلى الامبراطور ليقنعه بوجوب عقد مجمع آخر يعيد النظر فى قرارات مجمع آرلس فتم له ذلك وانعقد المجمع سنة ٣٥٥م فى مدينة ميلانو بايطاليا وكان مؤلفاً من ثلاثمائه أسقف جلهم اريوسيون حكموا بحرم القديس أثناسيوس الرسولى عدا نفر يسير منهم. ولما أخذ ليبريوس رئيس أساقفة رومية على عاتقه إعلان براءة الحبر الاسكندرى استدعاه الامبراطور وأمره بالانقياد إلى قرار مجمع ميلانو فرفض ذلك رفضا كانت نتيجته ان نفى إلى مدينة بيرا بتراقيا وأقيم مكانه شماس أريوسى يدعى فيلكس الثانى كما نفوا أصدقاء اثناسيوس أيضاً (تاريخ الاريوسيين لاثناسيوس ف ٢٣، ٣٤، ٧٦ ودائرة المعارف البريطانية جزء ثان ص ٥١٨).

إبعاد اثناسيوس عن كرسيه

وقد كلف الامبراطور والى مصر المدعو سريانوس باخطار القديس اثناسيوس بحكم النفى الصادر ضده وتحويل الغلال التى كانت توزع على فقراء الارثوذكسيين إلى كنائس الاريوسيين فأبى القديس اثناسيوس أن يترك الاسكندرية حتى يتلقى أوامر الامبراطور رأسا. فغضب الوالى لذلك وفى سنة ٣٥٦م عندما كان البابا اثناسيوس يؤدى صلاة الغروب مع شعبه فى كنيسة السيدة العذراء التى شيدها القديس ثيؤناس قام الوالى بحصار الكنيسة على رأس خمسة آلاف عسكرى متعمداً قتل اثناسيوس ثم هجم العسكر بقيادة الأسقف جاورجيوس الاريوسى الموفد من قبل الامبراطور ليحل محل اثناسيوس على الكرسى الاسكندرى على الكنيسة المذكورة بينما كان يصلى البابا وشعبه ويتلو الشماس المزمور ١٣٦ والشعب يجاوبه عند كل فقرة "لأن

إلى الأبد رحمته" فتقدم الشعب إلى قداسة البابا طالباً اليه أن يهرب فأجابهم قائلا: "إنى لن أبرح مكانى حتى ينصرف جميع الكهنة سالمين" وبعد أن خرج معظمهم جاء الرهبان وبعض القسوس وحملوه خارجا فشاء الرب أن ينجو هذا الحبر مع الذين قدّرت لهم النجاة (اثناسيوس فى احتجاجه الثانى ف ٢٦ والطوخى ص ٩٦، ٩٧).

وهجم الجند على الكنيسة من الداخل والخارج وقتل من الشعب المسيحى خلق كثير حتى جرت دماء المؤمنين كالنهر فى المدينة وقام جاورجيوس الأسقف الدخيل ينهب أوانى البيعة واعتدى الجند على العذارى اللواتى لجأن إليها.

واختفى البابا اثناسيوس وأصبحت البيعة فى هم مقيم واضطر المؤمنون أن يؤدوا الصلاة ويتقربوا من الأسرار المقدسة فى المقابر المسيحية من الاسكندرية شمالا حتى صعيد مصر جنوباً، وانتشر الاريوسيون فى كل مكان بفضل معاونة رجال الأمبراطورية.

ولما تمكن القديس أثناسيوس من الهرب اتهمه الأريوسيون بالنذالة لفراره من وجه الاضطهاد فلم يسكت على ذلك بل رد عليهم محتجاً قائلا: "هم يعضون أصبع الندم لأنهم لم يتمكنوا من قتلى والآن يلومونني على هربى غير عالمين أنه لو كان فى الهرب جناية لكان فى الاضطهاد جنايات. إننى قد هربت لئلا أقتل وهم يقتفون أثرى لئلا أنجو من القتل. فليكفوا عن إضطهادى لأكف عن الهرب. وكيف لا يعلمون أن فى فرارى منهم حجة عليهم؟ إن المرء لانفزعه الرقة واللين بل القسوة والشدة بل غلظة القلب والتوحش".

ولما انتشر هذا الاحتجاج فى جميع الأقطار استشاط الأريوسيون غضباً وأقاموا جاورجيوس الأريوسى أسقفاً على الاسكندرية قوة واقتداراً.

مخابرة أثيوبيا لضم كنيستها إلى الأريوسيين

ولما انتشر هذا الاحتجاج فى سائر الأقطار وأقاموا جاورجيوس الأريوسى أسقفا على الاسكندرية استكتبوا الامبراطور رسالة إلى ملكى اثيوبيا إزاناس وسازاناس وهما "أبراها الأول المعروف قبل توليته باسم إيزان واتزيا الأول شقيق أبراها وكان اسمه قبل تولية الملك ساذان". ودعا الأمبراطور هذين الملكين إلى مقاطعة أثناسيوس الرسولى وطلب اليهما حضور الأسقف فرومنتيوس إلى الاسكندرية لاعادة سيامته من يد جاورجيوس أسقف المدينة لفساد سيامته الصادرة من اثناسيوس الهرطوقى فلم يعبأ الملكان بهذا الافتراء لثقتهما بارثوذكسية القديس اثناسيوس البطريرك الشرعى المستقيم الرأى، ولاعتقادهما الثابت بصحة سيامة الأسقف فرومنتيوس من يد هذا القديس (اثناسيوس احتجاجه الثانى ف ٣١ وغريغوريوس النزينزى رقم ٩).

ابتعاد اثناسيوس عن الاسكندرية

ورأى القديس اثناسيوس أنه من الحكمة أن يترك مخبأه بالاسكندرية ويرحل إلى البرارى ليشدد جماعة المؤمنين بتعاليمه. وظل مختفياً فى الأماكن المنعزلة متنقلا بين الأديرة العديدة المنتشرة ما بين جبل النطرون وأقليم طيبة الشرقى والغربى. وكان طعامه فى هذه المدة الخبز الجاف غير المختمر وشرابه ماء النيل القراح. وكان البابا غيوراً على ترقية الرهبنة وإعلاء شأنها ولذلك وجد فى الأديرة مقاما طيباً ولم يقطع صلته فى كل هذه المدة

بكنيسته مطلقاً بل كان على الدوام يكاتب الاساقفة وأراخنة الشعب معزياً وناصحاً ومشدداً للضعفاء والمتضايقين، محافظا على رعيته من الذئاب الخاطفة، ومدافعاً عن الإيمان القويم. وقد تعرض بسبب ذلك للخطر مرات عديدة.

وقام الانبا سرابيون أسقف تمى أثناء غياب البابا برعاية الشعب وكان يكاتب البابا ويوقفه على حالة الكنيسة أولا بأول (ابن المقفع كتاب ١٣ ص ٥٥ R وقوة ص ٢٢ R).

اضطهاد الاسقف جاورجيوس الاريوسى

وبعد أن جلس الاسقف جاورجيوس الاريوسى على الكرسى المرقسى الاسكندرى حاول إغواء اساقفة الديار المصرية المستقيمى الرأى على إمضاء القرار الاريوسى فلم يوفق وفشل فى مساعيه الشيطانية وقد كبّل سبعة عشر أسقفا منهم بالقيود والاغلال وزجهم فى ظلمات السجون.

ولما كان هذا الأسقف المغتصب جاهلا غبيا دنئ النفس عديم الأصل سافل التربية إنتهز فرصة إغتصابه الكرسى البطريركى وتداخل فى شؤون الاسرات وسهر على نهب الأوقاف والتركات، وقد سولت له نفسه الخبيثة أن أشعل النار فى المقابر ليحرق الارثوذكسيين الذين كانوا مجتمعين هناك ليقدموا عطايا الرحمة على موتاهم فأهلك منهم خلقا كثيراً كما روى أثناسيوس فى الفصل ٥٣ - ٦٣ من تاريخ الأريوسيين وأيده فيه تاودوريتس فى الكتاب الثانى الفصل الرابع عشر

نفي أثناسيوس الرسولي وعقد مجمع سرميوم جنوبي فرنسا

وبعد أن تمكن خصوم أثناسيوس الرسولي من نفيه وتم للاريوسيين ما أرادوا الوصول اليه عقدوا مجمعا في مدينة سرميوم جنوبي فرنسا في سنة ٣٥٧م برئاسة الأسقفين الغربيين أورزاس وفالانس وحضره الامبراطور قسطنطيوس بنفسه وقد وضع ذلك المجمع صورة إيمان جديدة أنكر فيها مساواة الابن لأبيه في الجوهر، بدعوى ان الأب أعظم من الابن في الرتبة والمجد. وقد نجح أولئك الطغاة في ارغام أوسيوس الشيخ الكبير أسقف قرطبة على امضاء تلك الصورة بعد أن اشبعوه ضربا بالعصى حتى أنتثرت لحماته (ابيفانيوس في الهرطقة ٧٢ و٧٣ وهيلاريوس في المجمع ف ١١).

انضمام ليباريوس إلى الأريوسيين

ولما علم ليباريوس أسقف روميه وهو في منفاه بما أتاه أوسيوس من التوقيع على صورة العقيدة الأريوسية التي وضعها مجمع سرميوم بادر هو أيضا إلى التوقيع عليها بأمل انقاذه من نفيه ورده إلى كرسيه، ثم كتب إلى الأريوسيين ثلاث رسائل: الأولى للأساقفة الشرقيين الأريوسيين والثانية إلى رؤوس الاريوسيين الغربية والثالثة إلى أسقف كابو. رجاهم فيها أن يتوسطوا له لدى الامبراطور كي يعيده إلى أسقفيته وأعلن لهم لعنه لأثناسيوس وقطعه كل علاقة معه.

حال الكنيسة الجامعة في هذا العهد وتمزق الوحدة الأريوسية

ولم تستمر وحدة الاريوسيين بعد أن ظلوا مدة طويلة شعبة واحدة فتشعبوا إلى مذاهب شتى منها الأنوميون أتباع أنوميوس والاكاسيون اتباع

أكاسيوس والباسيليون اتباع باسيليوس اسقف انقره وأسطفانوس أسقف سبسطية الكبادوك وانعقدت للتوفيق بينها عدة مجامع في انقره وانطاكيه وسرميوم. وقد وضعت هذه المجامع قوانين إيمان يصادم بعضها بعضا. وفي سنة ٣٥٩م عقد الامبراطور مجمعين أولهما في مدينة ريميني بالالليريكون وخصه بالغربيين والثاني في مدينة سلوقيه بسوريا حضره من أساقفة مصر الاريوسيين عشرة حسب ما ذكره المؤرخ منسي وهم: "جاورجيوس أسقف الإسكندرية الأريوسي وسيراس أسقف باراتونيون بليبيا واستيفانوس أسقف بطولومايس ببرقة وابولونبوس أسقف أوكسبرينكوس (البهنسا) وتيوكتيسطوس أسقف الصرمون وبولوديسيس أسقف الأقليم الثاني في ليبيا وبانكرانيوس أسقف بلوزا وسرابيون أسقف انطيبرخوس بليبيا وهيلودوروس أسقف سوذوسا بالمدن الخمس وبطولومايس أسقف تمويس (مانسي ص ٢٣٢ آثار جغرافية أفريقيا ومصر) وقد خص الامبراطور هذا المجمع بالشرقيين فأيد كلاهما الضلال الأريوسي كل التأييد. وهكذا باتت الكنيسة الغربية كلها أريوسية وقد تسبب مجمع ريميني الغربي في تحريف قانون الايمان النيقوى وجر الهرطقة الأريوسية على العالم بأسره كما قرر ذلك ايرونيموس (فلورى م ٢ ك ١٤ ف ١١ وتاودرونيس ك ٢ ف ١٩ وسقراط ك ٢ف ٣٩ ولاروس جزء أول ص ٣٣٥).

تردد القديس اثناسيوس على الأديرة

وكان القديس اثناسيوس الرسولي أثناء اختفائه يتردد على أديرة الرهبان وكان الرهبان ينتهزون الفرص لزيارته والتبرك منه وكن الأب باخوميوس أبو الشركة يقول: "ظهرت في جيلنا ثلاثة أمور مرضية ونامية بالرب: أولها البابا

اثناسيوس أقدس أهل زمانه وأكثرهم جهادا حتى الموت دفاعاً عن الأمانة المستقيمة. وثانيهما الأب انطونيوس العظيم النموذج المثالى لحياة العزلة والتوحد. وثالثهما الشركة التى رسمها الله لنا رسما حسنا لعبادة الله وبها يعتنى بأمورنا نفساً وجسداً إلى النهاية" (سيرة باخوميوس المخطوطة البرموسية ص ١٠٩ R)

اختفاء القديس اثناسيوس عند عذراء بالاسكندرية

ولما وصل اثناسيوس إلى الاسكندرية اختفى عند عذراء قديسة من سنة ٣٥٩ إلى ٣٦١م وقد ذكر المؤرخ اليونانى بلاديوس هذا الحادث بالنص الآتى:

"إن المرأة الفاضلة التي منحها الله قوة الارادة كما منحها للرجال لجديرة بالذكر. ولقد رأيت عدداً كبيراً من الأرامل فقن أعاظم الرجال زهداً ونسكاً. ومن العذارى العفيفات اللواتى رأيتهن فى الاسكندرية عذراء فى السبعين من عمرها، اعتزلت العالم وكل أمجاده منذ صباها لكى لا تكون عثرة للرجال لفرط جمالها.

"وعندما كان الاريوسيون يتآمرون على اثناسيوس بابا الاسكندرية ويكيدون له ويطاردونه بواسطة الحاكم يوساب وأعوانه الأشرار فى عهد قسطنطيوس لكى يقدموه للمحاكمة أمام محكمتهم الظالمة اضطر إلى الهروب سراً. ففى منتصف الليل أخذ برنسه وهرب إلىّ دار هذه العذراء. فلما رأته دهشت لهذه المباغتة فقال لها: "أن الأريوسيين يطاردوننى وهم يوجهون إلىّ تهماً غير لائقة. ولا أريد أن يرانى أحد ولا أن يذاع هذا الخبر

ولا أن يوقع القصاص الشديد على من يحاكم بسببى. فقصدت الهرب وقد أوحى لى الله سبحانه وتعالى فى هذه الليلة "أنه لا يوجد من تستطيع أن تجد عنده الخلاص من هذا الشر سوى هذه العذراء" فعظم فرحها وزال عنها كل خوف. وخبأت هذا الرجل الطاهر مدة ثلاث سنوات حتى مات قسطنطيوس. وكانت خلال هذه المدة تخدمه وتغسل قدميه وتحضر له كل ما يحتاج اليه وتقوم بما يلزم له حتى كانت تستعير له الكتب. ولم يعلم أحد بوجوده طول هذه المدة وعندما أذيع خبر وفاة قسطنطيوس سنة ٣٦١م قام اثناسيوس ليلا وحضر إلى الكنيسة وكان كل من رآه يندهش لأنه كان يشبه من قام من القبر وخاطب محبيه قائلا: "لم أختبئ عندكم لئلا تضطروا إلى خلف اليمين الكاذب فى سبيل المحافظة علىّ. واختبأت عند هذه المرأة لبعد الظنون عنها وقد ربحت نفسى ونفسها لأنى ساعدتها فى أمور كثيرة".

تحديد قانون الايمان الأريوسى فى مجمع انطاكية

ولقد شجع انتصار الاريوسيين على ذوى الإيمان الارثوذكسى المستقيم الرأى أن قاموا بعقد مجمع فى انطاكية فى سنة ٣٦١م ووضعوا فيه صيغة إيمان جديدة تعلمّ أن "الابن غريب عن أبيه مختلف عنه فى الجوهر والمشيئة" وقد تثبتت هذه العقيدة الكفرية فى مجمع انعقد بالقسطنطينية فى نفس تلك السنة وقام الأريوسيون بنشر هذا الكفر فى أنحاء العالم ووضعوا سبعة عشر قانونا للإيمان أبعدتهم عن الحقيقة الأرثوذكسية المسطرة فى قانون الإيمان النيقوى. وقد أخرج الخلاف بينهم هذه الزمرة الكافرة عن طورهم وجعلهم يتدفقون فى ضلالهم وظلوا مستمرين فى طغيانهم الكفرى

إلى أن مات الامبراطور قسطنطيوس الغاشم فى كيليكيا فى سنة ٣٦١م حيث أخذت الكنيسة تعمل على إعادة سالف عزها واسترجاع قديم مجدها (مختصر تاريخ الأمة القبطية ص ٤٦٣)

تشدد اثناسيوس الرسولي في تعاليمه

لا يوجد فى تاريخ الكنيسة الجامعة قرار أعظم من كون يسوع المسيح هو ابن الله الموجود قبل كل الدهور. لأن مستقبل المسيحية كان يتوقف على هذا القرار. وعلى هذا الأساس يجب أن نبحث موقف اثناسيوس لنرى هل كان محقاً أو غير محق فى تمسكه. ولرب قائل يقول "ألم يكن الأفضل لأثناسيوس أن يكتفى بالانتصار الأدبى الذى ناله؟ وهل كان من المناسب أن يكدر صفو الأم التى دخلت المسيحية أفواجا باذاعة ذلك التعليم الخطير الذى يصدهم عن قبول المسيحية؟ فضلا عن أن التشديد فى التمسك بهذه الأمور التى تعلو على أذهان المسيحيين أنفسهم يعد سياسة خطرة وقد أدت فعلا إلى إثارة الاضطرابات التى لا آخر لها في الكنائس فان النصف الأول من ذلك القرن (أى القرن الرابع للميلاد) صرف فى حرب جدلية عنيفة جبارة لأن الجدال والنضال اللذين أثيرا فى مجمع نيقية لم تنته مدتهما ولن تنتهى حتى يأتى المسيح نفسه وينهيها.

أجل ـ هذا هو الواقع ولكن المسيحيين لن يستطيعوا غير التمسك بإيمانهم بموت المسيح عنهم وبقيامته من بين الأموات ولا يمكن للمسيحية أن تتصالح مع العالم باسقاط هذا الموضوع من قانون إيمانها لأن قيامة المسيح الرب هى العلة الحقيقية لوجود المسيحية فى العالم ولبقائها إلى

النهاية. ولذلك يجد المسيحى أن الحق كل الحق مع اثناسيوس لأنه إذا وجد شئ فى الانجيل اسمه الحق "فوجود المسيح منذ الأزل هو كله الحق بل لا معنى للأنجيل بدونها. فالحق مع التاريخ الذى برأ اثناسيوس لأن ذلك العصر الوثنى لم يكن عصراً مناسباً للتساهل مع الوثنية (بل مع الالحاد نفسه) فى جوهر حياة المسيح، وأعنى بهذا الجوهر "لاهوت المسيح" فان كنيسة الله لم تتخلص من الاضطهاد الذى وقع عليها وأضنى قوتها وقوة اعضائها الجسدية إلا وقد وقعت فى محاربة عنيفة مع روح العالمية السائدة فى تلك الأيام. فهل كان يليق أن يقال عن المسيح فى ذلك العصر ما سبق ان قاله اعداؤه اليهود عنه: "واما هذا فما نعلم من اين هو؟" كلا ثم كلا فان الحق كان مع القديس اثناسيوس بطل الايمان القويم (كتاب الجدل الاريوسى. اجابة الاستاذ جوانكن مدرس تاريخ الكنيسة فى كمبردج على سؤال: "لماذا تشدد اثناسيوس الرسولى فى تعاليمه").

تعاليم اثناسيوس مدة اختفائه

وكتب اثناسيوس مدة اختفائه فى الست سنوات الماضية أربع مقالات ومجمعيات قفى بها على الاريوسية وشبه الاريوسية التى سمى أنصارها بالمجدفين والهوميونيين وسفه عقائدهم وزيف دساتير ايمانهم. أجل لقد فشل نداؤه فى ذلك الوقت ولكنه أثمر فيما بعد الثمر الصالح (دائرة المعارف البريطانية جزء ٢ص ٣٩٨)

ظهور اثناسيوس وسفره إلى القسطنطينية

وفى ذاك الحين ظهر اثناسيوس وسافر بنفسه لمقابلة الامبراطور قسطنطيوس نفسه لكى ينال على يده أكليل الشهادة. ولكن الامبراطور لم يقتله بل أمر أن يوضع وحيداً فى مركب صغير ويترك فى عرض البحر دون طعام ولا شراب لكى يقضى عليه جوعا. ولكن العناية الالهية لم تتركه بل حفظته بيدها القوية ولاحظته بعيونها الساهرة على المخلصين فأوصلته بغتة فى مركبه سالما للاسكندرية بعد ثلاثة أيام. فاستقبله الكهنة والشعب مسرورين وأخذوه بالتراتيل والقراءات إلى البيعة المقدسة وأخرجوا منها جاورجيوس البطريرك الاريوسى الدخيل وأتباعه وأقاموا فى ذلك اليوم عيداً عظيماً وانتشر السرور برجوع البابا اثناسيوس فى كل أنحاء القطر المصرى (كتاب ١٣ تاريخ ص ٥٥ VR وفوه ص ٢٢ V). ثم مات الامبراطور قسطنطينوس فى سنة ٣٦١ أثر حمى أصابته (لاروس القرن العشرين جزء ٤ ص ٢٠٩).

الفصل الثالث عشر

عهد الامبراطور فلافيوس كلوديوس يوليانوس الكافر

حياته قبل اعتلائه العرش

ولد يوليانوس فى سنة ٣٣١ ميلادية وهو ابن شقيقة الامبراطور قسطنطين الكبير. نشأ يتيماً وقد نجا هو وشقيقه جاليوس من المذبحة التى فتكت بعائلته وقد روقبت تربية الشقيقين فتربيا تربية دينية محضة وقضيا حياتهما بحالة محزنة. وقد رباهما الخصى ماردونيوس على مذهب هو ميروس وأفلاطون. وقد تولدت الضغينة فى نفس يوليانوس ضد الدين الذى فرضوه عليه. وعندما صار أوغسطسا غيَّر الامبراطوار قسطنس خطته نحو الاخين فأصبح جاليوس قيصرا كما حصل يوليانوس على التصريح له بالاستمرار فى دراسته فى القسطنطينية حيث تأثر بتعاليم أستاذه الوثنى ليبانيوس وقد جحد إيمانه بالمسيح فى أفسس واعتنق عبادة الاوثان مع أنه كان متصلا فى أثينا بالقديس باسيليوس والقديس أغريغوريوس النزينزى وكان صديقا لهما ودرس معهما الكتب المقدسة.

اعتلاء يوليانوس عرش الامبراطورية

وأخيراً عيّنه الامبراطور قسطنس قيصراً وأرسله للدفاع عن بلاد الغول (فرنسا) ضد الجرمانيين وقد اظهر يوليانوس فى حملته هذه نشاطا ملحوظا وبعدئذ اقام فى لوتاكية. ولما سحب الامبراطور قسطنس منه قواته لينقلها الى الشرق نادت الجيوش بيوليانوس امبراطورا فثار قسطنطيوس ضده ولكنه مات

محموما فی سنة ٣٦١م وخلا بذلك الجو ليوليانوس وأصبح المسيطر الوحيد على الامبراطورية وسيدها.

عودة أثناسيوس الرسولي إلى مركزه

ولما تولى يوليانوس زمام الأمبراطورية أظهر في أول حكمه حزما ونشاطا ملحوظين وأعاد الأساقفة المنفيين إلى كراسيهم وكذلك أرجع أثناسيوس الرسولي إلى الاسكندرية وميلكيوس إلى انطاكية وكيرلس صاحب الميامر إلى أورشليم. وكذلك أعاد أساقفة الغرب إلى كراسيهم (النقيوسى ص ٤٣٤) وذلك بمرسوم أصدره فی سنة ٣٦١ ميلادية (لاروس ص ٤١٠ جزء أول) وقد كان غرضه أن يقوم المسيحيون على بعضهم فنحل عرى الوحدة المسيحية غير أن الله عز وجل قد سخر القديس أثناسيوس لاحباط تلك النوايا الخبيثة.

كفر يوليانوس الأمبراطور واضطهاده الأساقفة

ولكن لم يمض على ذلك قليل من الوقت حتى اسفر يوليانوس عن كفره وخلع ثوب الرياء فأغلق الكنائس ونهب أوانيها المقدسة وسلمها للوثنيين وفتح معابدهم وعمرها وجاهر بتجديد عبادة الأوثان وقدم بنفسه الضحايا لها ونجس الأرض بدمائها ودنس الهواء بدخانها ونظم الكهنة الوثنيين على نمط الاكليروس المسيحي وأرسل من قبله أناسا ليقوموا بقتل أثناسيوس الرسولي فترك كرسيه واختفى من أمامه ولم يستطع رسل يوليانوس القبض عليه (النقيوسى ص ٤٣٤ ولاروس القرن العشرين جزء رابع ص ٢٠٩)

وقد كانت عودة أثناسيوس إلى كرسيه فى سنة ٣٦١م بعد أن تطهر من دنس جاورجيوس البطريرك الدخيل الذى أحرقه الوثنيون لاعتدائه عليهم بادرة الخير كله حيث باشر تنظيم المختل فى كنيسة الله الأرثوذكسية دون أن يتوصل يوليانوس إلى احباط هذه المساعى المشكورة بفضل ثبات ايمان أثناسيوس وحراسة الله له من كل المكايد التى دبرت ضده للخلاص من وجوده.

عقد المجمع المكانى فى سنة ٣٦٤م بمدينة الاسكندرية

وفى سنة ٣٦٢م عقد المجمع المكانى المقدس برئاسة البابا أثناسيوس وقرر قبول توبة الأريوسيين إذا ما تخلوا عن رتبهم الدينية واستثنوا من ذلك أولئك الذين أرغموا على الانضمام إلى الأريوسية قوة واقتداراً وقد حضر هذا المجمع أسقف باراتيونيوم (ليبيا) وأسقف فراجونيس وأسقف باخمونيس وأسقف شديه ومينلايتيس وأسقف هرموبولس الصغرى واسقف اونوفيس واسقف صان واسقف زيجراى واسقف اتريب واسقف ارسينوية واسقف صا واسقف فيله واسقف اندرون واسقف انطيغراى. وقد ابلغ اثناسيوس قراره فى هذا الشأن الى كنيسة انطاكية التى عملت بآرائه الحكيمة (المجامع للقديس اثناسيوس وكتاب آثار جغرافية افريقيا ومصر لناشره البرنس يوسف كمال مجلد ٢ جزء أول ص ٢٣٤).

ولما فشل الامبراطور يوليانوس فى مشروعه أمر بنفى اثناسيوس وهدد الديسيوس والى مصر بغرامة كبيرة ان لم يقم بتنفيذ ذلك. وقد نفى اثناسيوس فى هرموليس غير أن مدة نفيه لم تطل.

احتجاج أسقفي روميه وقيسارية الكبادوك على يوليانوس

كان يوليانوس الامبراطور الوثنى يقوم بانطاكية لأنه لم يستحق أن يحل فى مسكن العظيم قسطنطين بعاصمة الامبراطورية ومضى إلى موضع الاوثان وقرب الصقر للشيطان على يد كاهن الأوثان وأخذ هو قلبه وأكله. وكان له ابن اخت يحمل اسمه ايضاً وكان كافراً مثل خاله فأخذ القس تاودوريتس المؤمن وقتله وجاء إلى خاله وأعمله بقتله فغضب عليه وقال له "ما كنت أريد أن تقتله لأن النصارى يفتخرون اذا قُتلوا ويقولون انهم شهداء ولكنى أقرر ان عدت من قتال الفرس أن يؤخذ من كل واحد من النصارى ثلاث أوقيات بقطا" وكان يريد بهذا أن يضيق على النصارى حتى يعبدوا أوثانه لأنهم لا يقدرون الوفاء بدفع البقط، وكانت البيعة يومئذ غنية ولها أعمدة يحملونها وهم : "البابا أثناسيوس البطريرك وأنطونيوس وبخوميوس الراهبان بمصر وباسيليوس أسقف قيسارية الكبادوك".

وكان ليباريوس أسقف رومية وباسيليوس أسقف الكبادوك صديقين حميمين ليوليانوس الأمبراطور لأنهما تربيا معه فى المكتب فى مدينة أثينا. فلما سمعا بمقالته الرديئة أخذا معهما أسقفان ومضوا جميعا اليه. فلما قابلهم تأمل فى لباسهم ونظر للحاهم وقال لهم: "ماذا تطلبون" قالوا: "اننا نطلب راعيا صالحا جيدا يرعانا" فقال الامبراطور لباسيليوس: "أين تركت ابن النجار وجئت إلى هاهنا" قال هذا القول مستهزئا. فاجابه القديس العظيم باسيليوس بكل شجاعة: "إننى تركته يعمل تابوتك ليجعلك فيه" فقال له الامبراطور: "لولا انك صديقى ولك عندى محبة لضربت الساعة رقبتك" قال له باسيليوس "أما كنت محبا للعلم مشتهيا له فكيف تركت الحكمة"

قال الامبراطور: "إننى قرأتها وحفظتها ورذلتها" فأجابه باسيليوس قائلا: "ما قرأتها جيداً ولا حفظتها. ولو كنت عرفتها وحفظتها ما رذلتها". فقال له الملك: "الواجب عليّ أن أعتقلكم إلى أن أعود من قتال الفرس فتنظرون ما سيكون" قال له باسيليوس: "ان مضيت وعدت ما تكلم الله فيّ" فقال يوليانوس: "ماذا اصنع بهذا الجليلى الكذاب الذى قال إنى اهدم الهيكل الذى بناه اليهود وأبنيه بناء الملوك" وصار يظهر لكل أحد ان القول بان الهيكل لا يعاد بناؤه هو قول كذب. ثم أمر بطرح القديس باسيليوس والأسقفين اللذين معه فى الاعتقال وانتظار عودته من حرب الفرس للنظر فى أمرهم.

هدم هيكل اورشليم

ولما سار يوليانوس إلى أرض فارس عبر فى طريقه على مدينة اورشليم فرأى أن الهيكل قد ضرب ولم يبقَ فيه حائط قائم لأن الأمبراطور اسباسيانوس الملك قد أخربه عندما قام على اليهود وحاربهم وأهلكهم وسباهم فأمر أن ينظف مكان الهيكل ويبنى جديداً وأستأنف سيره إلى فارس بعد ان استخلف من يتولى عمارة هذا الهيكل فبدأ متولى العمارة يهدم بقية الهيكل حتى لم يبق فيه حجر على حجر كما قال الانجيل المقدس. وشرع بعد تنظيف جدران الهيكل فى البناء الجديد ليقيم مكانه معبدا وثنيا. فأخذ العمال يبنون بالنهار كله وينصرفون فى الليل فاذا أصبح النهار يجدون كل ما بنوه مهدوما بغير يد إنسان بل يجدون الحيطان مقلوعة من أساسها ومطروحة على الأرض. فمكثوا على هذا الحال مدة شهرين لم يقدروا أثناءها ان يقيموا حائطا واحدا فأشار عليهم اليهود ان يحرقوا المقابر المجاورة

للهيكل المخصصة للنصارى فيثبت البناء في مكانه. ففعلوا ذلك وبدأوا بقبرى اليشع النبى ويوحنا المعمدان فلم تتسلط عليهما النيران فبذل بعض المؤمنين المال للوالى واخذوا الجسدين المقدسين وارسلوهما إلى القديس اثناسيوس بالإسكندرية ففرح بهما كأنه رآهما حيين وأخذهما واخفاهما فى موضع أمين إلى ان يجد السبيل ليبنى عليهما بيعة (كتاب ١٣ تاريخ ص ٥٦ V و٥٧ VR وفوه ص ٢٣ VR ولاروس القرن العشرين جزء رابع ص ٢٠٩ وتاريخ النقيوسى ص ٤٣٧).

حلم الآباء القديسين بموت الامبراطور فى الحرب

رأى القديس باسيليوس (حامل الاله) اسقف قيسارية فى حلم وهو فى السجن الذى اعتقله فيه يوليانوس أن السموات قد انفتحت وأن السيد المسيح له المجد جلس على عرش مجده وقال بصوت عال: "إن مرقوريوس الشهيد سيقوم بقتل يوليانوس عدو أولادى المسيحيين الممسوحين بالنعمة". فقام القديس مرقوريوس الماثل أمام عرش النعمة بناء على أمر السيد يسوع المسيح ودخل إلى بيعته وأخذ رمحه ولبس درعا لامعاً مزيناً بالأزهار واختفى برهة ثم ظهر بعد لحظة ثم اختفى وظهر للمرة الثالثة وقال: "لقد قتلت يوليانوس ياسيدى وأصبح فى عداد الموتى"

فاستيقظ باسيليوس من حلمه مرعوبا ودعا الأبوين الاسقفين اللذين كانا معه فى السجن ودعا كذلك باقى المؤمنين لتأدية صلاة المساء. ثم قص عليهم الرؤيا التى انكشفت له فى الحلم ثم تساءل: "هل حقاً مات يوليانوس؟" فقال الاسقفان: "لقد رأينا نفس هذه الرؤيا ولابد من حدوث ما

جاء فيها" فارسلوا إلى بيعة الشهيد مرقوريوس رسولا ليرى إذا كان رمحه مازال فيها أم لا. فلم يجدوه فتحققوا من صحة الرؤيا. وجزع الشعب والاكليروس من هذا الكلام وطلبوا من القديس باسيليوس أن لا يذيعه ولكنه أبى أن يكتمه بل أعلنه للجميع، وسرعان ما انتشر خبر هذه الرؤيا فى المدينة. وبعد ثلاثة أيام على هذا الحادث وصلت الأخبار إلى انطاكية تعلن مقتل يوليانوس الجبار وكانت وفاته فى ٢٦ يونيه سنة ٣٦٣م وله من العمر ٣٢ سنة (النقيوسى ص ٤٤٠ وكتاب ١٣ تاريخ ص ٥٧ V و٥٨ R)

المعجزة العجيبة التى تمت على يدى أثناسيوس

طغت أمواج البحر الأبيض المتوسط على مدينة الاسكندرية حتى كادت تبتلعها إذ اخترقت مياهه المكان المعروف "بالهبتاستاديون" غرب المدينة فقام البابا اثناسيوس مصحوبا برجال الاكليروس وتوجه إلى شاطئ البحر وفى يده كتاب الشريعة المقدسة ورفع يده نحو السماء وصلى قائلا: "أيها السيد الأله الذى لاينقض وعوده. إنك أنت الذى وعدت نوح بعد الطوفان قائلا: إنى لا أريد أن أجلب مرة أخرى طوفانا على الأرض فارفع غضبك عنا". وعقب توسلات القديس عاد البحر إلى حدوده وسكن غضبه وانقذت المدينة بصلوات القديس اثناسيوس (النقيوسى ص ٣٥٢) وقد ذكر هذا الحادث المؤرخ سو ذو مين فى تاريخه الكنسى جزء ٦ ف ٢ وقال إنه حدث فى أيام يوليانوس الكافر.

موت يوليانوس

كان القضاء الأخير على الوثنية

عندما كان يوليانوس يحارب الفرس نجح فى أول الموقعة نجاحا يسيراً ولما تكاثرت عليه جيوش الفرس اضطر للتقهقر قليلا أمام قوتهم القوية الشكيمة حتى أصيب بسهم فى جسده ولما اعادوه إلى خيمته صرخ قائلا: "لقد خزلتنى ايها الجليلى" واسلم الروح ومات وكانت وفاته علامة القضاء الأخير على العبادة الوثنية (لاروس القرن العشرين جزء رابع ص ٢٠٩).

الفصل الرابع عشر

عهد الأمبراطور فلافيوس

كلوديوس يوبيانوس

تاريخ حياته

ولد هذا الإمبراطور فى بانونيا نحو سنة ٣٣١ ميلادية وكان من ضباط الجيش الرومانى والتحق فى الحرس الامبراطورى ورافق الامبراطور يوليانوس فى حربه ضد الفرس.

وفى اليوم التالى لوفاة الامبراطور يوليانوس اختار الجند يوبيانوس خليفة له فأقيم امبراطورا فى المملكة الرومانية فى ٢٧ يونيه سنة ٣٦٣م.

وقد استمر فى تنفيذ خطة يوليانوس القاضية بالانسحاب بالجيوش الرومانية من أمام الجيوش الفارسية واضطره إلى ذلك شدة ضغط الهجوم الفارسى فوصل الى شاطئ نهر دجلة حيث قام بعقد معاهدة ثانية مع ملك الفرس سابور الثانى.

وقد استرد الفرس من الرومان الخمس ولايات التى فتحها جاليريوس فى سنة ٢٩٨م واستولى عليها الرومان من ذلك الحين، كما تنازل الرومان عن مدينة نصيبين وبعض المدن الأخرى وعن نفوذهم فى مملكة أرمينيا وتركوا أميرها المسيحى أرزاسيس تحت تصرف الفرس.

وفى أثناء حكم هذا الإمبراطور القصير الأمد أصبحت المسيحية دينا رسميا للدولة كما أعيد أثناسيوس الى مقر كرسيه بالاسكندرية، وابتدأت

الديانة الوثنية الى الذبول والانقراض فى الامبراطورية الرومانية كما سيأتى بيانه تفصيليا (لاروس القرن العشرين جـ ٤ ص ٢٠١ ودائرة المعارف البريطانية جـ ١٣ ص ١٥٨).

تاريخ توليته

بعد موت يوليانوس اجتمع جند الرومان لانتخاب خلفه وبمعونة الله تعالى وقع اختيارهم باتفاق جميع الموجودين فى بلاد فارس على يوبيانوس القائد الأعلى وكان مسيحيا أرثوذكسيا وخادماً أميناً لله فامتنع ولكنه أرغم على قبول تاج الامبراطورية فى ٢٧ يونيه سنة ٣٦٣ ميلادية (النقيوسى ص ٤٤٠).

اعلانه المسيحية على رجال الدولة والشعب

ولما اعتلى عرش الامبراطورية صعد إلى مكان عال وخاطب بصوت جهورى الشعب والجيش ورجال الدولة المصاحبين له قائلا: "اذا أردتم أن أكون امبراطوركم كونوا مسيحيين مثلى وآمنوا بالسيد يسوع المسيح وكونوا أعداء للآلهة الكاذبة" فصاح الجميع بصوت واحد قائلين: "نحن مسيحيون بنعمة الله. ومنذ الآن سيكون ملكنا السيد المسيح وصليبه الموقر". وعلى ذلك هللوا للامبراطور وغمروه بالمديح والاطناب (النقيوسى ص ٤٤٠).

فض المنازعات القائمة بين الرومان والفرس

ولما علم الفرس بموت يوليانوس أرسلوا السفراء للامبراطور يوبيانوس يعزونه فى وفاة يوليانوس، ويفاوضونه فى أمر ايقاف المنازعات وفض الحروب واتمام الصلح بينهما فرحب الامبراطور البار بمقابلتهم وحل منذ هذه اللحظة الصلح والمودة بين الطرفين. وقد قبل الفرس أن يدفعوا الجزية للروم

وعفاهم الامبراطور يوبيانوس من جزية سنة لأن يوليانوس الجبار كان قد خرب احدى المدن العامرة ولكنه صرح لهم أن يقيموا خارج حدود الامبراطورية مدينة دعيت باسم "أميديه" فأقام حولها سوراً منيعا وحصنها وأسكن فيها الأهالى وجعلها شبيهة بالمدينة القديمة التى خربها يوليانوس الجبار. وقد ألح حاكم المدينة على الإمبراطور ليطلق عليها اسم روميه ولكنه رفض الطلب ابقاء على الصلح والسلام القائم بين الفرس والرومانى (النقيوسى. ص ٤٤١).

الإفراج عن الأساقفة ورفت الحكام الوثنيين وهدم المعابد الوثنية وتوطيد الأرثوذكسية فى البلاد

كان يوبيانوس مؤمنا قديسا يخاف الله منذ صباه فعندما جلس على عرش الإمبراطورية الرومانية أطلق الآباء الأساقفة من السجن وتمت نبوءة عامود الحق باسيليوس أسقف قيسارية كبادوك ليوليانوس الكافر: انه لايعود من حملته الفارسية" كما قال ميخا النبى فى العهد القديم لاخاب الملك الكافر ملك بنى إسرائيل لان الله صانع العجائب هو إله الأثنين اعنى ذلك النبى وهذا الأسقف القديس فقبل قولهما وتحقق نبوءتهما.

واحسن الإمبراطور يوبيانوس مقابلة الأساقفة بعد خروجهم من السجن وأكرمهم وقدم لهم هدايا كثيرة وسيرهم إلى كراسيهم آمنين مطمئنين (كتاب ١٣ تاريخ ص R٥٨).

ولما بارح الإمبراطور يوبيانوس أرض فارس أعاد جميع الجند الذين نجوا من الموت إلى بلادهم سالمين وقام بافناء كل من كان على شاكلة الإمبراطور يوليانوس الجبار الكافر وأزال أثرهم من الوجود وفتح بلا تردد

كنائس القسطنطينية وأغلق هياكل الأصنام ورد إلى المسيحيين المدن التى نزعها منهم يوليانوس وأقام على كل الولايات حكاما مسيحيين وهدم المعابد الوثنية من أساساتها وأخذ عدد الوثنيين فى النقصان وابتدأ من جديد أن تكون المسيحية دين الدولة (النقيوسى ص ٤٤١).

ولما كان هذا الإمبراطور مسيحيا أرثوذكسيا مستقيم الأمانة حرم مذاهب الأريوسيين أعداء المسيح لاستقامة ايمانه وعبادته باخلاص للثالوث الاقدس مانح الحياة للجميع، وان الشعاع الذى وجهه بحسن أعماله وصدق أمانته وثبات ايمانه كان يتلألأ كضوء الشمس. وكان مملوءاً تقوى مغدقا باحساناته على جميع أهل عصره (النقيوسى ص ٤٤١ و٤٤٢).

مرسوم الإمبراطور

بشأن فتح الكنائس واستئناف الإيمان المسيحى

قام الإمبراطور المسيحى التقى بارسال مرسوم امبراطورى إلى جميع الولايات الإمبراطورية بشأن فتح الكنائس واستئناف العبادة المسيحية ونشر الايمان المسيحى المستقيم الرأى بالنص الآتى:

من

يوبيانوس البار صاحب الجلالة والسمو الإمبراطورى سيد العالم

إلى

جميع مسيحى امبراطوريتى:

إنى أوصى الله بكم وأفرح معكم البيعة المقدسة القائمة فى وسط المدينة مثل مركز الدائرة. فلقد أنتصرت انتصارا على كل من عاداها وهى كانت

موضوع حقد الإمبراطور يوليانوس الذى أغلقها".

"وإنى آمر بإعادة فتحها ليرجع إليها هدوءها حتى يتمكن الكهنوت الطاهر والمقدس من إقامة الوعظ فيها وان يصعد إلى السموات الصلوات المقبولة عند الرب"

"فلنبادر إذاً إلى فتح هذه البيع المقدسة ولنقم فيها الفرائض الدينية ونكرم كهنتها حتى يستطيع كل الشعب وجنود رومية الولوج اليها لأن الله الرحوم الرؤوف قد منحها لهم لينهمكوا بالصلاة فيها وتقديم التوسلات بكل حرارة" (النقيوسى ص ٤٤٢)

رسالة الامبراطور يوبيانوس إلى البابا اثناسيوس

ولما توطدت حالة البلاد بادر الامبراطور بالاتصال برجل الله البابا القديس اثناسيوس الرسولى وأرسل إليه الرسالة الآتية ليعود إلى مدينته بكل اكرام:

من يوبيانوس الامبراطور إلى القديس اثناسيوس حبيب الله

"إننا نعجب بشخصك الكريم وسلوكك الحكيم وبحسن علاقتك بالأباطرة وبجميل فضائلك المسيحية وبشجاعة جهادك النبيل فى الدفاع عن قضية سيدنا يسوع المسيح له المجد".

"كما أننا نفكر فى أمرك أيها المعلم الجليل. يا مَن تحملت المتاعب والمشقاتِ ولم تلن قناتك لمن اضطهدوك ولم تتراجع أمام الأخطار المحدقة بك يا مَن لاشيت الحقد والغضب اللذين اعتبرتهما لحزم القش بتتبعك خطوات الإيمان المستقيم إلى النهاية. لقد كانت حياتك الباسلة قدوة

صالحة لخلفائك الذين حزمتهم برباط الإيمان الكامل وحبل الفضيلة. اننا نسألك أن تعود الآن إلى مملكتنا واستئناف تعاليمك الخلاصية وحفظ الكنيسة وولاية شعب المسيح ورفع صلواتك الحارة إلى الله تعالى من أجلنا ومن أجل امبراطوريتنا لكى ننال الخلاص بدعواتك لأننا نؤمن بأننا نحصل على معونة الله جل شأنه عندما نقدم له بفمك الطاهر المقدس طلبتك لأن كلامك ملهم به من الروح القدس".

"أننا نحرر اليك هذه الرسالة لندعوك إلى القيام بإضاءة أذهان الشعب بنور السيد المسيح وملاشاة الأصنام التى يكرهها الله والقضاء على هرطقة الأريوسيين الذين طردناهم حتى ننال الخلاص بصلواتك". (النقيوسى ص ٤٤٢ و ٤٤٣)

ولما قرأ القديس اثناسيوس الرسولى مصباح العالم هذه الرسالة جمع الأساقفة القديسين والمعلمين الموقرين ووضع تأليفين أحدهما عن كلمة الله أحد أقانيم الثالوث الأقدس والآخر تناول تعاليم المسيح (النقيوسى ص ٤٤٣)

ثم كتب الرسالة الآتية إلى القديس باسيليوس المتقدم ذكره والذى يتأمل دائماً فى أعمال الله المبرورة وصنائعه المشكورة ويسعى إلى تفهمها:

"ان الامبراطور يوبيانوس اعتنق تماما بكل اهتمام الأمانة المستقيمة التى حددها مجمع نيقية المسكونى. فافرح وابتهل حيث أصبح أرثوذكسيا ووطد أمانة الثالوث الأقدس الحقيقية" (النقيوسى ص ٤٤٣)

وذكر الأنبا ساويرس أسقف الأشمونين الشهير بابن المقفع فى كتاب تاريخ البطاركة الرسالة الآتية التى أرسلها الامبراطور يوبيانوس إلى القديس

اثناسيوس:

"أيها الأب الحقيقى الراعى المأمون: اثناسيوس شهيد المسيح الإله"

"ان مملكتى ترتجيك جداً فقوّ قلبك وامسك قضيب الكهنوت واطرد به الذئاب الخاطفة عن الرعية الناطقة. أولئك الذين افواههم مملوءة لعنة ومرارة سم الأفاعى وهم قتلة الأنفس". (كتاب ١٣ تاريخ ص ٥٨ R)

ثم قُرئ هذا الكتاب أيضا فى بيعة الاسكندرية ونشره اثناسيوس فى جميع أعمال مصر وقرئ فى كنائسها تثبيتاً للمؤمنين وتقوية لهم فانطرد أصحاب اريوس وامتلأوا حزنا (كتاب ١٣ تاريخ ص ٥٨ R)

وقال المؤرخ الكبير تاودوريتس فى كتابه الرابع فصل ٢ و ٣ ما يأتى:

"ثم أرسل الأمبراطور يوبيانوس بعد ذلك إلى القديس اثناسيوس يطلب اليه فيها أن يوقفه على حقيقة الدين المسيحى والعقيدة النيقاوية التى قاسى الأهوال فى سبيل المحافظة عليها. فاجابه اثناسيوس إلى طلبه وشرح له العقيدة الأرثوذكسية شرحا لايدع للنقد منفذا ولا للهرطقة سبيلا".

سفر القديس اثناسيوس إلى أنطاكية

وقد استدعى الأمبراطور يوبيانوس القديس اثناسيوس من منفاه إلى أنطاكية فقوبل بمزيد الحفاوة والاجلال والسرور لصدور أمر الأمبراطور بعودته مكرما رلى مقر كرسيه الذى اغتصبه الأريوسيون مدة غيابه عنه فى عهد الأمبراطور يوليانوس السابق. وكانت نتيجة هذا الرضى السامى رجوع عدد وافر من الأساقفة الأريوسيين إلى حضن الكنيسة الأرثوذكسية.

عودة القديس اثناسيوس إلى مقر كرسيه في الاسكندرية

ثم واصل القديس اثناسيوس السفر الى الاسكندرية مودعا بمثل ماقوبل به من الاحترام والاكرام ووصل الى مقر كرسيه فى فبراير سنة ٣٦٤م (الطوخى ص ١١٤)

وطرد أثناسيوس الرسولى بمجرد وصوله الى الاسكندرية أنصار اريوس فامتلأوا حزناً وتوجه وفد منهم الى الامبراطور ورفعوا اليه شكايتهم من معاملة اثناسيوس لهم فلم يلتفت اليهم لوقوفه على حقيقة أمرهم ومعرفته بشرورهم (كتاب ١٣ تاريخ ص ٥٨ V R).

وحدث بعد ذلك أن بعض الكهنة برئاسة لوسيوس حدثتهم النفس الامارة بالسوء باعادة الكره بالوشاية فى حق القديس اثناسيوس الى الامبراطور وكانوا من حزب جاورجيوس الكبادوكى ولكن وفاة الأمبراطور يوبيانوس بغتة قد قضت على هذه المؤامرة الدنيئة وحالت دون الوصول الى تحقيق أغراضهم (كتاب مختصر تاريخ الامة القبطية ص ٤٦٥).

نياحة الامبراطور يوبيانوس

ولقد أتم الامبرطور يوبيانوس مهمته بهدوء وتقوى عاملا بكل مايرضى الله وعندما سار قاصدا بيزنطة اعتراه مرض فاخترق كليكية وغلاطة الى أن وصل مدينة ديداستانا حيث أسلم الروح فى ١٦ فبراير سنة ٣٦٤م وقد كان امبراطوراً طيبا تقيا حليما متواضعاً مسيحيا مستقيم الرأى (النقيوسى ف ٨ ص ٤٤٣).

الفصل الخامس عشر

تولية الأمبراطورين فالنتينانوس البار وأخيه فالنس الكافر

بعد وفاة الامبراطور البار يوبيانوس انقسمت الامبراطورية الى شطرين: شطر غربي حكمه فالنتينانوس، وشطر شرقي حكمه فالنس الاريوسي.

الامبراطور فالنتيانوس الاول (فلافيوس فلانتينانوس)

ولد هذا الامبراطور في مدينة سيبال بولاية بانونيا حوالى سنة ٣٢١م وهو ابن جراتيانوس كونت أفريقيا وقد اندمج في سلك الجيش. ولما كان مسيحيا متمسكاً بدينه المسيحي استبعده الامبراطور يوليانوس من الجيش. وفي سنة ٣٦٤ ميلادية بعد وفاة يوبيانوس نودى به أمبراطورا بمعرفة جيش نيقية وأشرك معه أخاه فالنس حيث عهد اليه حكم الشرق. وقد قضى على الثورة في أفريقيا وطرد الالمان من بلاد الغول (فرنسا) وكلف الكونت تيودوسيوس بالقضاء على فتنة شمال بريطانيا وبعد ذلك حل في بانونيا حيث أخمد قيامة الجرمانيين ومات في أثناء هجومه على معسكر بريجيتيو (لاروس القرن العشرين جزء ٦ ص ٨٩٧).

حادث اتفاق الجيش على انتخاب فالنتيانوس

أمبراطوراً للدولة الرومانية

لما كان حزن ضباط الجيش مفرطاً بسبب موت الرجل القديس يوبيانوس حضر فالنتيانوس مع زملائه للبكاء عليه وقد كانوا في أثناء نوحهم مهتمين باختيار الأمبراطور فقام ساللوست القائد ورئيس الجيش الذى كانت له مكانة عظمى بين الضباط واقترب منهم وأبدى رأيه قائلاً: "أن فالنتينانوس

هو أحسن مَن يصلح أمبراطوراً لأنه كان قائداً سابقاً ونفاه يوليانوس الجبار بسبب استقامة أمانته". وبناء على هذا الرأى الصائب نادى به الضباط والجنود أمبراطوراً وأعلنوا فى سائر الأنحاء والولايات بأفواه المنادين العموميين "أن فالنتينيانوس الرجل العادل والمسيحى صاحب القول الصادق والكلام الصريح اعتلى عرش الأمبراطورية".

وبعد أن تسلم فالنتنيانوس الأمبراطور زمام حكم الأمبراطورية الرومانية العظمى عيَّن قائده الأعلى ساللوست وزيراً أولاً وقائداً أعلى للجيوش الرومانية. وكان ساللوست لا يخشى فى الحق لومة لائم وينشر ألوية العدل فى جميع الولايات، كما كان رجلا خبيراً لم تفسده الرشوة فانسر الأمبراطور فالنتنيانوس وانشرح صدره من نزاهة وعدالة هذا الرجل القدير.

إشراك فالنتنيانوس أخاه فالنس معه فى الحكم

وبعد ذلك فى ٢٨ مارس سنة ٣٦٤ ميلادية عين الأمبراطور فالنتنيانوس أخاه فالنس امبراطوراً على القسم الشرقى من الأمبراطورية الرومانية وبعثه إلى القسطنطينية واحتفظ لنفسه برومية والدولة الغربية.

الأمبراطور فلافيوس فالنس

ولد الأمبراطور فالنس فى مدينة سيبال بولاية بانونيا حوالى سنة ٣٢٨ ميلادية وقد اشركه أخوه فى تولى الأمبراطورية الشرقية سنة ٣٦٤ عندما قسم الأمبراطورية بينهما. وقد قضى على ثورة بروكوب وأستأنف حرب الفرس ليستولى على أرمينيا وأيبريا ثم قام الغوطيون تحت ضغط ودخلوا تراقيا فاضطر فالنس إلى محاربتهم ولكنه قهر فى أدرينوبل ومات أثناء ذلك أو بعدها بقليل فى سنة ٣٧٨ بمدينة أدرينوبل.

وقد اشترك مع أخيه فالنتنيانوس فى جميع الأعمال الإصلاحية ولكنه افترق عنه فى المسألة الدينية لأنه انضم إلى الاريوسيين بينما بقى شقيقه متمسكاً بمستقيمى الرأى (لاروس القرن العشرين جـ ٦ ص ٨٩٦)

عودة الإضطهاد فى أيام الأمبراطور فالنس

ولما تولى فالنس على الأمبراطورية الرومانية الشرقية سار على خطة قسطنطيوس لأنه كان أريوسياً واضطهد الارثوذكسيين اضطهاداً شديداً وفى سنة ٣٦٧ ميلادية أصدر هذا الامبراطور قراراً يقضى بنفى جميع الأساقفة الذين كان قد نفاهم الامبراطور قسطنطيوس وأعادهم يوليانوس فاضطر القديس اثناسيوس إلى هجران الكرسى وانسحب لخامس مرة إلى منفاه حيث ظل مختفياً بين المقابر أربعة أشهر حلت بالكنيسة الارثوذكسية فى خلالها أهوال فظيعة فلقد أشعل النار فى سفينة كانت تقل ثمانين أسقفاً من المخلصين للعرش الاثناسيوسى وملأ السجون بالمصريين الارثوذكسيين الذين رفضوا أن يتبعوا ضلال الاريوسيين بعد أن نهب كل ما امتلكوه من حطام الدنيا على ماوراه المؤرخ سقراط فى الفصل الثالث عشر من كتابه الرابع والمؤرخ سوذومين فى كتابه السادس فى الفصل الثانى عشر.

توفيق اثناسيوس بين طائفتى الرهبان والمتوحدين

وفى مدة نفى القديس اثناسيوس الأخير قام خلاف كاذ يذهب بصفاء وسلام الرهبنة فبذل قداسة البابا مجهوداً صادقاً فى التوفيق بين طائفتى الرهبان والمتوحدين وأزال الخلاف بينهما. فقد كان المتوحدون أشد تمسكاً بالزهد الزائد والتعبد بينما كان الرهبان أكثر اهتماماً بالجانب الفكرى والعلمى. فأثار هذا الخلاف الحقد والغيرة بين الفريقين. ولما كان اثناسيوس على أتم وئام مع الجميع يعيش تارة مع المتوحدين فى صوامعهم المنعزلة

وكهوفهم المنفردة وطوراً مع الرهبان فى أديرتهم يتمتع بألفتهم وحياتهم الاجتماعية الاشتراكية فقد استطاع أن يقرّب وجهة النظر بينهما ويفض ما قام فى وسطهم من خلاف ويعيد السلام إلى الأخوة المتوحدين والرهبان وأفهمهم أن التدين الصحيح فى حاجة إلى قسوة حياة العزلة الفلسفية وفى حاجة ماسة أيضاً إلى إرشاد علم الدين القويم (استانلى ص ٢٤٩).

وكتب البابا اثناسيوس من المنفى فى هذا الموضوع إلى عذارى مدينة الاسكندرية يقول لهن: ــ "إن عريسكن هو المسيح الذى لا يرى ولا يموت. ومادمتن ثابتات فى محبته فلستن أرامل، وأعلمن أننى كنت كاتباً لأبى الكسندروس البابا، وكان رحمة الله لا يقرأ قط الانجيل فى قلايته ولا فى غيره جالساً بل قائماً يصلى ويقرأ فى الأنجيل. وقد أتت إليه راهبات ومثلن أمامه وسجدن بين يديه وقلن له: "يا أبانا عندنا عذارى يصمن ستة أيام ولا يعملن شيئاً بأيديهن ليوفرن غذاءهن ويطعمن به المستورين. ونريد منك يا أبانا أن تنصحهن أن يعملن ويصمن بقدر" فقال القديس لهن: "صدقنى يا أخوتى إنى ما صمت قط يومين ولا أفطرت قط بالنهار ولا أكلت إلا بقدر ولا اتعبت نفسى ولا أدبت جسمى لأنه جيد أن يكون الصوم بقدر والشراب بقدر والنوم بقدر. فإذا أكل الإنسان كما يجب قوى على الصلاة. وكذلك إذا نام بقدر وجعل للطعام حداً وللشراب حداً وللنوم حداً. فقلن لأخواتكن أن يفطرن بقدر ويعملن كل شيء جيداً بقدر أيضاً".

هذا ما كتبه اثناسيوس الرسولى وحكى به عن أبيه القديس الكسندروس وكان كلامه عذباً ومؤثراً على كل من سمعه كما كان تأثيره الشكر للسيد المسيح (كتاب ١٣ تاريخ VR٥١).

حادث لأثناسيوس فى صعيد مصر أثناء النفى

وعندما أثير الإضطهاد على القديس أثناسيوس مضى إلى الصعيد وصار أجيراً عند رجل صباغ ولما اعتلى قسطنطيوس سرير الأمبراطورية أعاده إلى كرسيه فلما طلبوا حضوره لم يجدوه. ولما سألوا عنه القديس أنطونيوس دلهم على أنه فى مدينة أخميم فى الصعيد. وكان فى هذه المدينة قس وكان يقدس بغير شماس وكانت صناعته حداداً فأتى أثناسيوس اليه يوماً بقطعة حديد يصلحها له ولم يكن رفيق الحداد موجوداً فقال له: "لا أقدر أن أستطيع عمل شىء حتى يحضر الصانع الذى ينفخ فى الكور" فقال له: "يا أبى إذا كنت لا تستطيع عمل شىء دون رفيقك فكيف تجسر وتقدسّ بغير شماس" فقال له: "قد رأيت الكهنة كيف يؤدون الخدمة". ولما وصل أخميم رسل وشعب الإسكندرية نزلوا فى ضيافة أسقف المدينة وقالوا له: "إن أبانا أنطونيوس عرفنا أن البطريرك يقيم عند رجل صباغ ولم يعرفه أحد" وكان جالساً عند الأسقف وقت هذا الحديث القس الحداد فقال: "إنى لا أعرف عند الصباغ إلا واحداً أحضر لى قطعة حديد أصنعها له" فقالوا له: "ما صفته" قال: "كذا وكذا" واصفاً لهم شخصية عامل الصباغ فعرفوا أنه البابا أثناسيوس فقاموا ومعهم الأسقف وأتوا إلى دار الصباغ فوجدوا القديس أثناسيوس داخلاً وعلى كتفه نفاه فمسكوه قائلين: "أنت هو أبونا أثناسيوس" فبدأ ينكر ويقول: "لست أنا هو" وبعد ذلك لم يمكنه الجند من الإفلات من إيديهم وألبسوه ثياب البطريركية وأدخلوه فى الكنيسة باحتفال عظيم ومجد فخيم. وكان ذلك القس الحداد يضرب المطانوه أمامه ويبكى بدموع حارة. فقال له القديس: "الرب يغفر لك يا أبى فلا تعود إلى ما كنت تعمله". وكذلك الصباغ كان يصرخ قائلاً: "أنت أبو المسكونة وأنا لا أعلم بذلك يا

أبى. وقد كنت أنتهرك" فدعا له البابا وباركه ثم عادوا به إلى الاسكندرية بكل إكرام ومجد (فو ٥ ص ٢٣ V و٢٤ R).

عودة أثناسيوس من النفى

لما شعر الأمبراطور فالنس باشتداد حنق الرعية وخشى سوء العقبى استدعى القديس اثناسيوس إلى كرسيه لاقرار السلام فعاد البابا إلى الاسكندرية فى سنة ٣٦٨م وكان له من العمر يومئذ سبعون سنة ولم تكن شيخوخة هذا البطل الأرثوذكسى العظيم والقديس اللاهوتى الكبير لتقعد به عن أن يقوم بواجبه الرسولى خير قيام وصرف السبع سنوات التالية فى هدوء وسلام.

نجاح مساعى أثناسيوس فى القضاء على التعاليم المخالفة

لما ذهب أبوليناريوس أسقف اللاذقية إلى نشر هرطقته القاضية بأن لاهوت المسيح حل محل نفسه فقد قام أثناسيوس بدحض هذه الهرطقة فى كتابين نفيسين. ولما رأى تهاون داماسوس أسقف رومية فى توقيع العقوبات الكنسية على أورانس أسقف ميلانو ونصير الشيعة النصف أريوسية كتب إليه معنفا وحاثا على عقد مجمع مكانى لحرم هذا الأسقف الضال فما كان من داماسوس إلا أن تقبل رسالة أثناسيوس بسرور وفى سنة ٣٧٠م بادر إلى حرم أورانس وبدعته، وهكذا طهر الغرب من بدع أريوس وذيولها بفضل مساعى البطل القديس أثناسيوس (تاريخ أثناسيوس لمونفوكون ص ٨٦ وسقراط ك ٤ ف ٣٦).

هذا وقد أخذ فى الشرق القديس أثناسيوس فى مكانية القديسين باسيليوس أسقف قيسارية الكبادوك وغريغوريوس أسقف نزينزه وغريغوريوس

أسقف نيصص وغيرهم يحثهم على قلع زوان الهرطقة الأريوسية وغرس بذور العقيدة الأرثوذكسية، وبالاختصار فقد تكللت مساعى القديس أثناسيوس وانتصرت تعاليمه المستقيمة فى العالم المسيحى حتى جعل الشبه أريوسيين يعتنقون أمانة نيقية بإيمان قويم وأصبحوا أرثوذكسيين متمسكين بتعاليم الكنيسة. ولكن أثناسيوس هذا القائد الكنسى العظيم لم يتمتع بالانتصار التام وكسب قضية الإيمان إلا بعد نياحته (دائرة المعارف البريطانية جزء ثان ص ٥٩٩).

وصرف أثناسيوس الخمس سنوات الأخيرة من حياته فى التأليف وإدارة شئون كرسيه الدينى الكبير. ولم يحدث خلال هذه المدة إلا حادث واحد مكدر وهو قيام الوثنيين باحراق الكنيسة القيصرية سنة ٣٦٧م فأعاد أثناسيوس بناءها فى نفس السنة.

سقوط ليباريوس أسقف رومية فى الهرطقة الأريوسية

تقدم ذكر الأسقف ليباريوس الرومانى فى الحوادث السابقة وقد سيم هذا الأسقف على كنيسة رومية فى ٢٢ مايو سنة ٣٥٢م فكان فى إول عهده متمسكاً بالتعاليم الأرثوذكسية القويمة وقام فى أثناء ذلك بالدفاع عن القديس أثناسيوس دفاعاً كان سبباً فى نفيه الى مدينة بيرابتراقيا فى سنة ٣٥٦م وأقيم مكانه فيلكس الاريوسى أحد شمامسة الكنيسة الرومانية ولما كان ليباريوس ضعيف العزيمة تخاذل فى منفاه فوقع على صورة العقيدة التى حررها الاريوسيون فى مجمع سرميوم المنعقد فى سنة ٣٥٧م كما سبق ذكره ومن ثم أمر الامبراطور بطرد فيلكس واعادة ليباريوس فدخل رومية مهرطقاً أريوسياً. وقال القديس أثناسيوس فى كتابه "تاريخ الأريوسيين" ف ٤١و٤٦ : "إن ليباريوس سقط فى الهرطقة الأريوسية بعد أن قضى فى النفى

سنتين". ثم قال في احتجاجه الثاني ضد الأريوسيين ف ٨٩: "إن ليباريوس لم يستطع ان يحتمل آلام النفى فكبا" وذكر أورونيموس فى كتابة "مشاهير الرجال" ف ٩٧ وفى "جدوله للأزمنة" عن سنة ٣٥٤م: "إن ليباريوس سئم النفى وضجر من الوحدة فأمضى الكفر الأريوسى ودخل رومية بعد ذلك الجحود ظافراً منتصراً" وذلك بسبب هرطقته وانكاره الإيمان الصحيح. وقال هيلاريوس أسقف بوانية بفرنسا فى الرسالة التى بعث بها الى القيصر قسطنطيوس: "لقد كنت بافراجك عن ليباريوس أشد كفراً وأكثر إلحاداً مما كنت عليه عند أمرك بنفيه". وقال أيضاً فى رسالته إلى ليباريوس ف ١١: "الويل لك أيها المجرم الخبيث. الويل للمقطوع من شركة الكنيسة الجامعة. الويل لك يا مثلث اللعنة".

وقد ظل سوس هرطقته ينخر فى عظامه حتى مات فى ٢٣ سبتمبر سنة ٣٦٦ ميلادية وقد أوردنا سيرته خصيصاً لكى يزن المؤمن المستقيم بين جهاد البطل المغوار القديس أثناسيوس وتحمله النفى والاختفاء والتشرد والآلام صابراً حتى تكللت مجهوداته بالنصر التام مع بقائه أميناً على مبدئه محافظاً على استقامة أمانته، وبين ضعف إيمان الأسقف الرومانى وعدم تحمله النفى وتفضيله التنعم مع الوقوع فى الهرطقة وجحد الإيمان القويم على الاستمرار فى احتمال كل مشقة وهوان فى سبيل المحافظة على الإيمان المستقيم.

الفصل السادس عشر
اثناسيوس زعيم الأرثوذكسية

اثناسيوس مؤسس الأرثوذكسية

يطلق المسيحيون على اثناسيوس لقب حكيم الكنيسة الجامعة ومفتيها ومعجزاتها فهو مؤلف قانون الايمان المستعمل فيها، واذا أردنا أن نصيب كبد الحقيقة ونعبر عن الواقع فإن أثناسيوس هو أب علم اللاهوت ومؤسس الأرثوذكسية (أبيفانيوس ـ الهرطقات ك ١ ص ١٩) ويقول خصوم الأرثوذكسية إن الصفات التى شملت شخصية ذلك اللاهوتى الكبير لا تخلو من صفات لا يميل اليها الكثيرون فى عصرنا الحاضر (الجيل العشرين) كالجمود والتشبث وصلابة الرأى لدرجة تؤدى إلى العداء والحقد وهذا قول هراء لأن الثبات فى الحق والتمسك بالايمان المستقيم واتباع التعاليم الصحيحة، ليس جحودا بل هو الثبات على المبدأ والمحافظة على التراث اللاهوتى الحقيقى الذى ناضل فى سبيله أبطال الكنيسة الأرثوذكسية إذ أن الحقائق لا تتغير بمضى الزمان ولا بتغيير المكان.

فلقد بذل أثناسيوس كل مرتخص وغال فى سبيل الدفاع عن المذهب الأرثوذكسى. فناضل وجادل متسلحا بالشريعة وكلام الله الحق شأن عظام المتشرعين وفطاحل المعلمين الذين يرجع إلى رأيهم ويركن إلى حكمهم. وكان يلجأ متى اشتدت وطأة الجدل إلى ساق خصومه بالمنطق الحاد المقرون بالبرهان القاطع (جيبون فصل ٢٢ واستانلى ٢٤٦) فقد دعا الأريوسيين

"شياطين ودجالين ومجانين ويهوداً ومشركين وكفرة منكرين للذات العلية وكلاباً وذئاباً وأسوداً ضارية وأرانب وحرابى وآفاع وأحناش أسماك وشلقاً وبعوضاً وخنافس وعلقاً، وهذه الألفاظ على شدتها كان لها مواقف خاصة بررت استعمالها. على أن غيرة أثناسيوس على الأرثوذكسية إذا ما دفعته إلى الخروج عن حد الإعتدال في القول فإنها لم تدفعه يوماً ما إلى تعدى حدود المسيحية العاملة (اثناسيوس لنيومان جزء ٢ ص ٣٤ واستانلى ص ٢٤٦).

ولقد كان موقف أثناسيوس الرسولى موقف الدفاع دائماً فلم يلجأ أبداً إلى الهجوم مع أنه كان دائماً عرضة للإضطهاد، ولم يضطهد أحداً لأن من قوله المأثور: "أن واجب الارثوذكسية هو الإقناع للإيمان بالبرهان وليس الإرغام عليه بالقهر".

وكفى أثناسيوس نبلاً وسمواً ونقاء إن أقصى ما استطاع أعداؤه أن يصموه به هو إتهام نبوغه وقوة حجته بالسحر وهى تهمة واهية لا أساس لها من الصحة.

ويبدو فضل هذا البطل الكبير وعلو كعبه فى الأبحاث اللاهوتية فى مؤلفه "سر التجسد" الذى أتى فيه بنص عقيدته فى هذا الموضوع بعبارات قوية ومنطق سليم يحدده التؤدة والهدوء، لأن المخاصمات الاريوسية لم تكن قد وصلت إلى حد الصراع والمرارة التى كدّرت صفوه ونغصت عليه حياته (استانلى ص ٢٤٧).

أثناسيوس مقوّض دعائم الاريوسية

لقد تقدم أثناسيوس نبى عصره بمراحل بتعاليمه السامية ومنطقه العالى المدعم بالحجج الدامغة وصلابته إحقاقاً للحق وإزهاقا للباطل، فلما ظهرت العقيدة الاريوسية التى تقول بفصل الآب عن الابن وتنزع إلى القول بتعدد الآلهة نهض اثناسيوس لدفع هذه البدعة وقام فى وجه الشرك بالله وتمسك بالإيمان باتحاد الآب والإبن الذى لا مندوحة منه لتفهم الاعمال الإلهية على الوجه الأمثل.

ويجد الباحث المُجِد فى نصوص الكتاب المقدس. فى علم اللاهوت وفى منطق الفلسفة وشهادة الضمير الحى ما يدعو إلى استنكار عسف الإعتراضات على عدل الآب ورحمة الإبن. تلك الإعتراضات التى جرت بها النظريات التى اتبعت فى الغرب لتقريب قضية الفداء إلى أفهام عامة الناس.

وقد لجأ أثناسيوس للتعبير عن رأيه إلى خطة التوفيق بين مقتضيات "الرحمة والعدل" فقال: "إن الفداء نشأ عن الحب غير المنقسم الصادر من الآب والإبن على السواء وأن الغرض منه كان استرداد الإنسان إلى الإتحاد مع الله" (استانلى ص ٢٤٨).

أما أريوس فكان يقول: إن الله غير معروف وغير محاط به وغير مدرك، ليس من الناس فحسب، بل أيضاً من نفس الإبن الوحيد المولود" وقد وقع فى هذا الضلال القسم الأكبر من أتباعه (أوسابيوس فى اللاهوت الأدبى جزء ١ ص ١٢ وفيلوسترجيوس جزء ثان ص ٢ و ٣) وقد كان أريوس يعتز

برأيه فى أن عقل الإنسان محدود وأن الله غير محدود وكيف يتسنى للمحدود أن يحيط بغير المحدود. وقد تطورت أمثال هذه النظريات والآراء عند البعض إلى الحكم بأن بين القوانين الإلهية وآداب القوانين البشرية اختلافاً كلياً. ومن مفاخر الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية أن أحد رجالها وهو "أثناسيوس اللاهوتى العظيم" صاحب المواهب العالية جاهر بأن أكبر نتائج قرارات المجمع النيقى العظمى كان التأكيد بكمال الآداب والطبيعة الإلهية كما علّم بأن الكمال الإلهى إنما يتمثل أمامنا ونتعرف به فى صورة الكمال البشرى. وهذا الإقرار الأثناسيوسى يعد ترياقاً شافياً من سموم الأباطيل والشكوك فى تمثيل الصفات الإلهية. (استانلى ص ٢٤٨).

ويقضى مبدأ اثناسيوس أن تنحصر الأحكام والعقائد الدينية فى صلات وروابط بين طرفين فقط: بين الله سبحانه وتعالى وبين الإنسان. وليست هنالك ذوات أخرى تجمع فى آن واحد بين بعض من صفات الإلهية وبعض من صفات البشرية دون البعض الآخر، كما ذهب اليه الاريوسيون من أفتراض أمثال هذه الذوات الانتقالية فمرقوا بذلك عن المعتقدات المسيحية الثابتة واندمجوا فى تيار معتقدات لا هى بالدين الصحيح ولا هى بأوهام علم الخرافات التى يقال عنها "التيولوجية".

فمذهب أثناسيوس فى علاقة الله.بالإنسان يمتاز على غيره من المذاهب والنظريات الأخرى بالخلود. ولو تغلب خصوم اثناسيوس عليه ودسوا فى قانون الإيمان المسيحى ذوات أخرى (غير الله والإنسان) كالملائكة والآلهة

الدهرية كما كان يعبر أهل البدع الأولون لأبعدوا المسيحية روح البساطة والرزانة اللتين امتاز بهما المذهب الحق والرأى المستقيم الذى تمسك به اثناسيوس.

ولقد تجلت ارثوذكسية اثناسيوس فى عزوفه عن الاختلافات الوهمية وتمييزه بين الجوهر والعرض. وقد وصفه غريغوريوس النزينزى بقوله: "أن اثناسيوس بينما كان ناراً ذات لهب تحرق سيء النبت. وسيفاً حاداً يقطع الشر من أصوله. كان أيضاً كمذرى الزارع تذرى الهشيم فتبدده فى الهواء وتحتفظ بأكداس القمح السليم. وكما كان يسير شاهراً سيف الفاتح القاهر كذلك كان نسمة الروح الحى" (عظة ٢١ فصل ٧ استانلى ٢٤٧).

مرونة اثناسيوس الإدارية

كان اثناسيوس حكيماً فى تصرفاته بعيد النظر فى تقدير الأمور يضحى بالحرف في سبيل حياة الروح. فمن ذلك أن المجمع النيقى وضع قانوناً يحتم أن لا يرسم الأسقف إلا من ثلاثة أساقفة على الأقل، وقضت تقاليد الكنيسة القبطية أن تقام مراسيم الرسامة فى مدينة الاسكندرية، المركز الرئيسى للأب البطريرك. وحدث أن اختار أحد المطارنة شابا نشيطاً علمانياً ورسمه أسقفاً دون أن يشرك معه أحداً من الأساقفة ودون استشارة الكرسى الاسكندرى فأقر البابا اثناسيوس هذا الرسم بالرغم من مخالفته لجميع النظم المتبعة منذ عصور بعيدة، بل أنه رقى الأسقف الجديد إلى درجة المطرانية عندما تبين همته وتقواه وسمو أخلاقه وعلو شأنه (سنسيوس رسالة ٦٧).

وأظهر اثناسيوس منتهى التسامح والمرونة فى التعبير عن عقيدته. فأن كلمة "مساوٍ فى الجوهر" (ΟΜΟΟΥCΙΟC) كانت عنده من أحب الإصطلاحات الدينية المعبرة عن حقيقة العقيدة الارثوذكسية التى دافع عنها حتى الممات. وبفضل قوة بيانه أقرها مجمع نيقية ولكنه هجر استعمالها عندما رأى الناس يسيئون فهمها (استانلى ٢٥٠).

أثناسيوس صلة الوصل بين الشرق والغرب

وختم اثناسيوس أعماله الكنسية العظيمة بإزالة الانقسامات التى ثارت بين الشرق والغرب لمسائل جدلية لفظية كادت تودى بوحدة الكنيسة.

لقد كان غرض مجمع الرسل الأطهار باورشليم السماح بتعدد الأساليب للوصول إلى تحقيق هدف واحد. وهذه الخطة الحكيمة هى التى اتبعها مجمع الاسكندرية الذى عقد سنة ٣٦٢م برئاسة البابا اثناسيوس الرسولى وكان يتألف من الأساقفة الذين عادوا من النفى بعد نضال عنيف ضد الأريوسية وكان هدف المجمع هو جمع شتات أبناء الكنيسة الذين ابتعدوا عنها باصدار عفو عام عمن ضل منهم فى بيداء الأريوسية وعادوا إلى كنيستهم خاضعين نادمين يطلبون الصفح والغفران والقبول (باسيليوس رسالة ٢٠٤)

ونظر هذا المجمع أيضاً موضوع الخلاف على كلمة (ΥΠΟCΤΑCΙC) ومعناها "الجوهر" وقد سبق أن طرحت على بساط البحث فى مجمع نيقية وبلغ الخلاف بشأنها الآن أقصى مداه إذ استعمله اللاتينيون فى المعنى الذى

ورد فى قانون الايمان النيقى ومرادف لكلمة (OYCIA)
ومعناها الجوهر (Substantia) وهو ترجمة حرفية للكلمة الاصلية
(ϒПОСТАТНС) أما اليونانيون فاستعملوا هذا اللفظ بمعنى (ПРОСПОП)
أى شخص أو ذات ووصموا اللاتينيين بالجهل ونسبوهم إلى سابلليوس
الهرطوقى الذى علم بالتفريق بين الاقانيم الثلاث فاتهمهم اللاتينيون
بدورهم بالأريوسية واقترح بعضهم فضاً لهذا النزاع استعمال اللفظين معاً
(سقراطيس جزء ثالث ص ٧).

وقال غريغوريوس النزينزى اللاهوتى الكبير: "وبلغ النضال بين الفريقين
لدرجة كادت تنقطع معها الصلة بين ربعى العالم والربع الآخر لغير سبب ما
سوى الاختلاف على مقاطع كلامية. فلما رأى ذلك أثناسيوس العظيم شعر
كرجل الله المسؤول عن أرواح المؤمنين بتفاهة السبب وعز عليه أن يترك
هذا الانقسام يهدد وحدة الكنيسة ويشوه كلمة الله فتدخل بشخصيته الفذة
وعقله الهادىء واستعان بحكمة منطقه وسحر بيانه وجمع الفريقين وبّين
لهما بدقيق اللفظ المعنى الحقيقى المقصود وكان كل ذلك بشفقة ولين
وأخذ بمجامع القلوب واتفق الطرفان على النزول على إرادته فلما آنس
أنهما متفقان فى المعنى أجاز لكل منهما اختيار ما يشاء من الألفاظ ليعبر
عن المعنى المتفق عليه بعد أن حدد هذا المعنى تحديداً دقيقاً. وكان عمله
هذا خيراً من الخطب والمقالات والمناقشات التى قد تنطوى على الخيلاء
والعجب والطموح إلى نيل مآرب خارجة عن الموضوع.

أجل لقد كان ذلك أشرف من مشقة سهر الليالى ومعاناة النصب

والاضطجاع على أحر من الجمر ثم قد لا يكون الظفر إلا فى جانب المثابر الصابر على المضض. ولو لم يجن أثناسيوس من شدائده وتشريده ونفيه غير هذا الاختبار الواسع والتصرف الحكيم لكفى به ناصراً للحق وزاهقاً للباطل (استانلى ص ٢٥١)

التجاء باسيليوس إلى أثناسيوس

وهذه لمحة أخيرة للقديس اثناسيوس، يرى فيها القارىء منظراً قلما شهد التاريخ مثله، يرى سلاماً وتحية من الجيل الحاضر ووداعاً من الجيل الراحل فى تبادل الرسائل بين القديس باسيليوس والقديس اثناسيوس حيث يرى القارىء حبراً نشيطاً فى مقتبل العمر وهو باسيليوس عندما شرع يدير دفة أمور كرسيه بآسيا الصغرى اصطدم بشك شعبه به اذ اتهمه بانحيازه لأهل البدع. ولما أعيته الحيلة فى دفع هذا الظن الآثم لجأ إلى بطل الإيمان القويم وحامى حمى الأرثوذكسية "اثناسيوس" لكى يأخذ بيده ويعيد قومه إلى صوابهم ويعيد ثقتهم براعيهم. فلبى اثناسيوس دعوته وأرسل لشعب آسيا الصغرى رسالة كان فيها فصل الخطاب إذ جاء فيها: "أن متهميه يعذبون أنفسهم بغير داع إلا أنه قد تنازل إلى ضعف الضعفاء فعدوا أنفسكم سعداء برعاية مثل هذا الرجل الممتلىء حكمة وصدقا".

وقد كان جل ما يشتهيه باسيليوس أن يحظى برؤية هذا المحسن رأى العين ولكن مشاغل الأيام حالت دون إدراك هذه الأمنية الغالية. فاكتفى بالمكاتبة عن المشاهدة. وصف هذا الحبر الجليل والشيخ الوقور ممثل العصر

الذى عاش فيه فقال: "لقد كللت السنون هامته باكليل ناصع البياض وعاش منذ الأيام التى سبقت المجمع النيقوى حين كان السلام مرفرفاً على ربوع الكنيسة حتى هذه الأيام العصيبة التى هبت فيها أعاصير المشاحنات التى لا نهاية لها... هذا هو صموئيل الكنيسة والحكم المبجل لجيلين متعاقبين وواسطة عقدهما. فهو الطبيب الحاذق القادر على علاج ما تئن منه الكنيسة من الأدواء. يقف على برجه الشامخ ومرقب حكمته الباذخ فيحيط بصره بكل ما حوله ويلم بكل ما يجرى فى العالم ويرى المحيط الهايج ترتطم أمواجه بجنبات سفن الكنيسة التى أخذت تضطرب وتهتز بعنف لشدة ما أصابها من هجوم الماء الجايش خارجها. ولتوانى بحارتها وتفريطهم داخلها ثم تهالك ركاب كل سفينة على إخوانهم الموجودين فى السفينة الأخرى أو الزج بهم إلى جانب غير مأمون.. وختاماً أقول إن هذه الحالة السيئة كانت فى حاجة ماسة إلى حكمة أثناسيوس منارة الاسكندرية (مشيراً بذلك إلى أنه مصدر نور الهدى) (باسيليوس رسالة ٦٨ ص ٥٨ ورسالة ٦٩ ص ٥٢).

الفصل السابع عشر
مؤلفات اثناسيوس وقوانينه

الاسفار الإلهية القانونية

فى أوائل القرن الرابع المسيحى وقع خلاف بين الطوائف المسيحية من جهة اسفار الانجيل فرأى اثناسيوس إصلاحاً للحالة أن يضع جدولاً بتلك الاسفار.

وهذا الجدول ينطبق على اسفار العهد الجديد الموجودة بين أيدى المسيحيين فى جميع كنائس الشرق والغرب إلى يومنا هذا. وبذلك سقطت الاسفار التى لم يعترف بها اثناسيوس.

وقد افتتح جدوله كما افتتح الرسول لوقا انجيله يقول: "إذ كان كثيرون قد أخذوا فى تأليف جدول اسفار تسمى الابوكريفا. وقصدوا وضعها مع الاسفار القانونية الموحى بها والمتضمنة ما سلمه الينا الذين كانوا منذ البدء شهود عيان. رأيت أنا أيضاً إذ قد تعلمت كل شيء من الأول بالتدقيق أن أضع بالترتيب أسماء الاسفار الموحى بها" ثم وضعها كما هى إلى اليوم وختم خطابه بقوله: "هذه ينابيع الخلاص. من يعطش فليقبل اليها. ولا يجب أن يزيد أحد عليها أو يحذف منها".

رسائل اثناسيوس الرعوية ومؤلفاته

رسائل الاعياد

اعتاد اثناسيوس الرسولى أن يرسل إلى شعبه رسالة فى عيد القيامة من كل عام. وقد اكتشفت هذه الرسائل الرعوية حديثاً وهى تدل على دقة شعوره وعمق محبته ورقة عواطفه وسمو أخلاقه ورغبته فى ترقية حياة الشعب الروحية وعلى شدة التمسك بالتعاليم المستقيمة (الطوخى ص ١١٦) وبالاطلاع على بعض ما قيل فى هذه الرسائل يظهر جليا مقامها اللائق بها وتجلت فى ثوبها القشيب الذى يمكن به ايفاؤه حقه ووصف ذكراه المقدسة. فلقد كتب قداسته فى سنة ٣٢٩ قائلاً:

"هلموا بنا تحفظ العيد فى اليوم الأول من الاسبوع كرمز للعالم الآتى اليوم الذى اتخذناه عربونا لنيل الحياة الابدية فيما بعد. وبعد ان ننتقل من هنا ـ من الحياة الدنيا ـ سنحفظ عيداً لا يعتريه نقص مع ربنا يسوع المسيح حيث نهتف مع القديسين قائلين: "أننا سنعبر الى المسكن العجيب الى بيت الله بصوت الفرح وهتاف التسبيح هتاف المبتهجين حيث يهرب كل حزن وكرب وتنهد ويحل الفرح والحبور فوق رؤوسنا".

وبعد أن روى خير تواضع ربنا يسوع المسيح فى غسل أرجل تلاميذه كتب قائلاً: "إن رأفة ربنا يسوع المسيح تدهشنا أيما ادهاش ولذلك لا ينبغى أن نحمل صورته فى أنفسنا فقط بل يجب أن ننال منه نموذجاً من سيرته الربانية حتى متى تألمنا لا نتذمر ولا نهدد المضطهدين لنا بل نسلم ذواتنا فى

كل شيء لله الذى يقضى بعدل".

وكتب أيضاً فى سنة ٣٢٩م قائلاً: "إن فصحنا المسيح قد ذُبح لأجلنا حتى أننا جميعنا نحن المؤمنين بازلية الكلمة صار لنا حق الدنو أمامه له المجد لأن العيد ما هو إلا خدمة النفوس لله وما خدمة النفوس لله إلا الشكر له تعالى فى كل حين والصلاة بالاتضاع".

وكتب أيضاً فى سنة ٣٣٢م قائلاً: "إن الله المحب هو الذى مهد السبيل لذبح ابنه لأجل خلاصنا ولذا أعطانا سبب هذا العيد المقدس أنه قد حرر العالم بدم ابنه مخلصنا وفتح أبواب السماء وبواسطة مخلصنا منح طريقاً حياً منيراً لأولئك الذين يصعدون إليها. وعلى هذا فيحق للانسان أن يقول: "ماذا أرد للرب من أجل كل حسناته لى لأنه وهب لى الحياة بدلاً من الموت، والحرية بدلاً من العبودية، وملكوت السموات بدلاً من الهاوية. فنتمثل بالقديسين فى اعترافنا به ـ بذاك الذى مات لأجلنا".

فهذه الرسائل دعوة مستمرة تدعو المؤمنين إلى التوبة والطهارة والمحبة لله والناس. كيف لا وهى تذكر المؤمن على الدوام "بأن الرب قد تألم لأجلنا فى تلك الأيام التى يجب أن يتذكرها كل مؤمن فى هذه الأعياد لأنه يدعوه إلى تكريس ذواته بالتمام" حتى أنه قال مرة "أن الرب اعتبر خلاصنا مسرة لنفسه بل ربحا خاصا لجلاله ونظر إلى هلاكنا كأنه خسارة عليه تعالى".

وهكذا كل سنة بعد أخرى ينادى إخوته بوجوب العيشة المقدسة لأن

المسيح فصحنا قد ذبح لأجلنا. وكان يعلمهم أن يدخلوا إلى فرح الرب.

وكتب مرة قائلاً: "إن الجالس على الكاروبيم قد ظهر بنعمة متفاضلة ورأفة فائقة فأرشد اللص التائب ليكون معه فى الفردوس وإذ دخل السماء كسابق فقد فتح أبوابها للجميع" وبعد ما اقتبس قول الرسول فى عبرانيين (١٢ : ١٨ ـ ٢٤) "لأنكم لم تأتوا إلى جبل ملموس مضطرم بالنار.. بل قد أتيتم إلى جبل صهيون وإلى مدينة الله الحى أورشليم السمائية وإلى ربوات هم محفل ملائكة وكنيسة أبكار مكتوبين فى السموات وإلى الله ديان الجميع وإلى أرواح أبرار مكملين وإلى وسيط العهد الجديد يسوع وإلى دم عرش يتكلم أفضل من هابيل".

وبعد ما اقتبس هذا القول عقب عليه فقال: "مَن ذا الذى لا يريد أن يكون له عشرة مع هؤلاء؟ ومن ذا الذى لا يرغب أن يدرج اسمه معهم حتى يسمع فيما بعد ذلك القول المفرح: تعالوا الىّ يا مباركى أبى رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم".

فهذه الرسائل هى فى تقواها خالية من كل تصنع ومن كل تكلف ومن كل أساليب المجادلات، وفى محبتها الوقادة لله المتجسد وفى حكمتها الفعلية وفى خيرها المتكاثر (الطوخى ص ١١٦ ـ ١١٩).

مقالاته وأبحاثه ورسائله

وكتب اثناسيوس مقالة ضد الوثنيين وأخرى فى التجسد ومقالات عديدة ضد الاريوسيين وشيعهم ورسائل إلى دراكنيوس أسقف هرموبولس الذى

حارب بدعة الاريوسيين ونفاه الإمبراطور قسطنطيوس بسبب نشاطه. كما أرسل منشورات رعوية لأساقفة مصر وليبيا وخطابات إلى الإمبراطور قسطنطيوس ورسائل للأديرة المصرية واخبار فراره إلى البرية وأربع خطب ضد الأريوسيين ورسالة الى الملك يوبيانوس كما تقدم ذكره فى تاريخه كما قام بعمل ابحاث مختلفة فى العقائد المسيحية وكتب ضد ابوليناريوس كما حرر رسائل الى سرابيون أسقف الموردة (ϵⲙⲟⲩ) عن موت أريوس وبحث فى الجامع ورسالة الى الكونت ماركلينوس وخطرات أفكار ومباحث فى العقائد وكتب سيرة القديس انطونيوس الطوبانى وكتب عن الصليب وعن تعاليم كثيرة ورسائل لا تحصى: منها الرسائل المتبادلة مع القديس باسيليوس ورسالة إلى ارسانيوس يعزيه فى أخيه تاودوروس الباخومى ورسائل لرهبان دير باخوميوس وغير ذلك مما لا يقع تحت حصر (كتاب ١٣ تاريخ ص ٧٥٨ والطوخى ص ١٤٤).

قانون الإيمان الاثناسيوسى

وينسب الى القديس اثناسيوس قانون الإيمان الآتى: ــ

"مَن يريد أن يخلص يجب عليه قبل كل شيء أن يتمسك بالإيمان الجامع وكل من لا يحفظ هذا الإيمان بأكمله دون افساد يهلك بلا شك هلاكاً أبدياً".

"والايمان الجامع هو أن نعبد إلهاً واحداً فى ثالوث وثالوثا فى وحدانية لا نخلط الاقانيم ولا نفصل الجوهر. فإن للآب اقنوما على حدة وللابن اقنوما على حدة وللروح القديس اقنوما آخر على حدة. ولكن لاهوت الآب والابن

والروح القدس كله واحد والمجد متساو والجلال أبدى معاً".

"وكما هو الآب كذلك الابن وكذلك الروح القدس. فالآب غير مخلوق والابن غير مخلوق والروح القدس غير مخلوق. والآب غير محدود والابن غير محدود والروح القدس غير محدود. ولكن ليسوا ثلاثة سرمديين بل سرمدى واحد وكذلك ليسوا ثلاثة غير محدودين ولا ثلاثة غير مخلوقين بل واحد غير مخلوق وواحد غير محدود".

"كذلك الآب ضابط الكل والابن ضابط الكل والروح القدس ضابط الكل ولكن ليسوا ثلاثة ضابطى الكل بل واحد ضابط الكل".

"فالآب إله والإبن إله والروح القدس إله ولكن ليسوا ثلاثة آلهة بل إله واحد".

كذلك الآب رب والابن رب والروح القدس رب، ولكن ليسوا ثلاثة أرباب بل رب واحد".

"وكما أن الحق المسيحى يكلفنا أن نعترف بأن كلا من هذه الأقانيم بذاته إله ورب، كذلك الدين الجامع ينهانا عن أن نقول بوجود ثلاثة آلهة وثلاثة أرباب".

"فالآب غير مصنوع من واحد وغير مخلوق ولا مولود. والابن من الآب وحده غير مصنوع ولا مخلوق بل مولود. والروح القدس من الآب أيضاً وليس بمصنوع ولا مخلوق ولا مولود بل منبثق من الآب".

"فأذن آب واحد لا ثلاثة آباء، وابن واحد لا ثلاثة أبناء، وروح قدس

واحد لا ثلاثة أرواح قدس".

"وليس في الثالوث هذا من هو قبل غيره أو بعده، ولا أكبر منه، ولا أصغر، ولكن الجميع ثلاثة أقانيم سرمديون معاً ومتساوون".

"ولهذا في جميع الأمور المذكورة ينبغي أن يعبد الثالوث في وحدانية والوحدانية في ثالوث. فمن شاء أن يخلص فعليه أن يعتقد هكذا بالثالوث".

"وأيضاً يلزم للخلاص الأبدي أن يؤمن كذلك يقيناً بتجسد ربنا يسوع المسيح لأن الايمان المستقيم هو أننا نؤمن بأن ربنا يسوع المسيح ابن الله هو إله متأنس. إله من حوهر الآب. مولود قبل العالمين. ومتأنس من جوهر أمه مولود في العالم. إله تام ذو نفس ناطقة وجسد بشرى. ذو وجود مساوٍ للأب بحسب لاهوته، وهو وإن يكن إلها متأنساً فإنما هو مسيح واحد لا اثنان".

"واحد لا باستحقاق اللاهوت الى الناسوت. بل إتخاذ الناسوت للاهوت. فهوذا واحد في الجملة ليس باختلاط الجوهر. بل بوحدانية الأقنوم لأنه كما أن النفس الناطقة والجسد انسان واحد. كذلك الإله المتأنس مسيح واحد".

"هو الذى تألم لأجل خلاصنا. ونزل الى الهاوية. وقام أيضاً في اليوم الثالث من بين الأموات. وصعد الى السموات. وهو جالس عن يمين الله الآب الضابط الكل. ومن هناك يأتي ليدين الأحياء والأموات. وعند مجيئه يقوم أيضاً جميع الناس بأجسادهم. ويؤدون حسابا عن أعمالهم خاصة. فالذين عملوا الصالحات يدخلون الحياة الابدية. والذين عملوا السيئات

يدخلون النار الابدية".

"وهذا هو الايمان الجامع الذى لا يقدر انسان أن يخلص من دون أن يؤمن به".

"المجد للآب والابن والروح القدس كما كان فى البدء وهو الآن وسيكون الى دهر الداهرين آمين".

وقد ذهب بعض المؤرخين غير المدققين الى أن اثناسيوس اغتنم فرصة وجوده فى منفاه برومية فكتب القانون المعزو اليه والموافق لاسمه على أن الزعم لا يطابق الواقع لأن تلك العقيدة كتبت فى الغالب بعد مرور قرنين أو ثلاثة قرون على عصر اثناسيوس، وانما عزاها مؤلفوها الى اثناسيوس لأنها تحوى ملخص التعاليم التى دافع عنها (الطوخى ص ٦٠ وكتاب رقم ٥ قانون مكتبة الدار البطريركية).

قوانين القديس اثناسيوس الرسولى

ومن افضال هذا الرجل القديس والاهوتى الكبير انه لم يفته وضع نظام قانونى للبيعة بلغت قوانينه مائة وسبعة وهى مدونة فى الكتاب المحفوظ بمكتبة الدار البطريركية القبطية الارثوذكسية تحت رقم (٥ قانون).

وتتلخص مواضيع هذه القوانين المائة والسبعة فيما يأتى:ـ

١ ـ القوانين الواحد والتسعين الاولى تتناول شئون رجال الكهنوت والشمامسة كما تنص على الأنظمة الكهنوتية من حيث اختيار الكهنة وتحديد علاقتهم بالشعب وتقديم القرابين والنذورات والبكور والعشور

والصدقات والاعياد والمواسم.

٢ـ القانون الثانى والتسعون يختص بالرهبان والراهبات ونظامهم فى الاصوام والصلوات والاعياد واحوال معيشتهم.

٣ ـ القانون الثالث والتسعون يختص بالعلمانيين ومعاملتهم.

٤ ـ القوانين (٩٤)و (٩٥) و (٩٦) تختص بتربية الأبناء وزواجهم وطاعة والديهم ونظام حضورهم البيعة.

٥ ـ القانونان (٩٧) و (٩٨) يختصان بالمحافظة على العذارى اللاتى ينذرن بتوليتهن ويلتزمن بيوتهن والتزام الشفقة والعطف بهن والقيام بحاجياتهن.

٦ ـ القوانين (٩٩) و(١٠١) و(١٠٢) و(١٠٣) تختص بأديرة العذارى وانظمتها وعلاقة الراهبات بأهلهن فى الافراح والمآتم والميراث.

٧ ـ القانون (١٠٠) يختص بالمآتم والمواريث.

٨ ـ القانون (١٠٤) خلص بتبنى احدى الايماء العذارى فى حالة عدم النسل.

٩ ـ القوانين (١٠٥)و(١٠٦) و (١٠٧) تتضمن النصائح والارشادات للمؤمنين فيما يتعلق بمخافة المذبح وتأدية الصدقات وحفظ البتولية ورفع البخور فى البيع وتقديم القرابين.

(كتاب القوانين رقم ٥ قانون بمكتبة الدار البطريركية القبطية بالقاهرة)

الفصل الثامن عشر
المجامع المكانية بالاسكندرية
فى عهد البابا اثناسيوس

قد عقد اجتماع المجمع المكانى للكرسى الاسكندرى فى مدينة الاسكندرية فى عهد اثناسيوس الرسولى إحدى عشرة مرة واتخذت فيها القرارات الآتية: ـ

١ ـ انتخاب الشماس اثناسيوس بطريركاً على مدينة الاسكندرية باسم البابا اثناسيوس البطريرك العشرين وأقام على الكرسى البطريركى فى ٨ بشنس سنة ٤٤ ش و ٥ مايو سنة ٣٢٨م.

٢ ـ قيام البابا اثناسيوس بطبخ الميرون المقدس لأول مرة فى التاريخ بحضور ممثلى كراسى رومية وانطاكية والقسطنطينية فى سنة ٣٢٩ ـ ٣٣٠م (ملخص تاريخ الميرون ص ٩ و ١٠)

٣ ـ سيامة فرومنتيوس أسقفاً على أكسيوم ورسولا لايثيوبيا من قبل الكرسى الاسكندرى فى سنة ٣٣٠ م.

٤ ـ تأييد البابا اثناسيوس فى موقفه الدفاعى عن الايمان القويم فى سنة ٣٤٠م.

٥ ـ قبول قوانين مجمع سرديقيا الذى حضره القديس اثناسيوس الرسولى (موسهيم ومونيه).

٦ ـ اعتماد قرارات مجمع أورشليم الخاصة بقضية القديس اثناسيوس فى سنة ٣٥٠ م (قاموس التواريخ).

٧ ـ براءة القديس اثناسيوس مما عزى اليه فى سنة ٣٥٢م بحضور ثمانين أسقفاً وإخطار بابا رومية بالقرار (موسهيم).

٨ ـ اصدار قرار فى سنة ٣٦٢م بقبول الأريوسيين التائبين متى تخلوا عن رتبهم الكهنوتية واستثناء من أرغم منهم قوة واقتداراً على الانضمام إلى الأريوسية (قاموس التواريخ).

٩ ـ الرد على الامبراطور يوليانوس فى سنة ٣٦٣م ودعوته إلى التمسك بالدستور النيقوى.

١٠ ـ الإطلاع على رسالة الامبراطور يوبيانوس عند ارتقائه العرش والتى أعلن فيها تمسكه بالأمانة المستقيمة (النقيوسى ص ٤٤٣).

١١ ـ شكر الأسقف دماسقوس على قرار حرمه لرؤساء الأريوسيين فى سنة ٣٧٠م (قاموس التواريخ وموسهيم).

الفصل التاسع عشر
آخر أيام القديس أثناسيوس الرسولى

نبوءته على خراب هيكل سرابيس

كان فى مدينة الاسكندرية هيكل لعبادة الصنم سرابيس. فلما مرض أثناسيوس وشعر بقرب انتقاله تنبأ قائلاً: "إن وجدت عند سيدى يسوع المسيح رحمة فأنا أسجد بين يديه ولا أرفع وجهى حتى يغلق باب هذا الموضع الذى يقيم فيه الصنم". ولم تمضى سبعة أيام بعد وفاة القديس أثناسيوس حتى أرسل الامبراطور فلنتنيانوس وأغلق باب البربا التى تحوى الصنم المذكور (ابن المقفع كتاب ١٣ تاريخ ص ٥٩ Vوفوه ص ٢٤ VR)

اكرام العزة الإلهية للقديس أثناسيوس

وقد بلغ م إكرام الله عز وجل للقديس أثناسيوس الرسولى أن أمر ملاكه بحمله فى أسفاره حينما كان هارباً من الملوك الكفرة إلى الجهات التى أراد الوصول اليها كما حمل الملاك قديماً النبى حبقوق من أورشليم إلى بابل، وحزقيال من بابل إلى أورشليم، وليس على الله أمر عسير (كتاب ١٣ تاريخ ص ٥٩ R)

لبس القديس أثناسيوس لباس الرهبنة

إن البابا أثناسيوس القديس هو أول من كرّم لباس الرهبنة بأن تقبّل من يد أب الرهبان القديس أنطونيوس العظيم مؤسس الرهبنة العالمية ملابس الرهبنة. ومنذ ذلك الوقت أصبح هذا الزى رسماً لكل البطاركة والأساقفة إلى وقتنا هذا وقد كافأ البابا أنطونيوس العظيم برسامته قساً وترقيته إلى درجة الإيغومانوسية (ابن المقفع كتاب ١٣ ص ٥٩).

نياحة القديس اثناسيوس الرسولى

ولما شعر البابا أثناسيوس بحلول وقت انتقاله أوحى بتعيين الأب بطرس خلفاً له وأسلم الروح للسيد يسوع المسيح فى اليوم السابع من شهر بشنس سنة ٨٩ للشهداء الموافق ٤ مايو سنة ٣٧٣ ميلادية بعد أن أقام على الكرسى مدة خمسة وأربعين سنة ودفن فى مقبرة أخوته البطاركة السالفين فى دير المغارة بالإسكندرية فى أيام الأمبراطور فالنس.

وبلغ من اهتمام الأمم الغربية بجثمانه أن نقلوا رفاته الطاهرة من الإسكندرية إلى القسطنطينية ثم البندقية ففرنسا فأسبانيا (أعمال القديسين تذكار ٢ مايو جزء أول ص ٣٥ واستانلى ص ٢٤٥)

فهرست

صحيفة

سيرقديس

طبع بشركة هارمونى للطباعة
تليفون ٦١٠٠٤٦٤ (٠٢)

رقم الإيداع بدار الكتب ٦١٧ ٢/ ٢٠٠٢



FINE CO. 4824113

مكتبة المحبة :
٣٠ شارع شبرا - القاهرة - ت وفاكس : ٥٧٥٩٢٤٤ (٢٠٢) - ٥٧٧٧٤٤٨ (٢٠٢)
تليفون : ٥٧٥٨٢٦٢ (٢٠٢) - ٥٧٨٢٩٣٢ (٢٠٢)